حديث الغَدِير

مع سيدنا علي بن أبي طالب عليه السلام

في

غَدِير خُمٍّ

حديث الغَدِير

مع سيدنا علي بن أبي طالب عليه السلام

في

غَدِير خُمٍّ

ح فهرسة مكتبة الملك فهد الوطنية أثناء النشر

الطريري، عبد الوهاب بن ناصر

حديث الغدير / عبد الوهاب بن ناصر الطريري، الرياض، ١٤٣٧هـ

١٣٢ ص؛ ١٤ × ٢١,٥ سم

ردمك: ٥- ٤- ٩٠٧٢٦- ٦٠٣- ٩٧٨

١- علي بن أبي طالب بن عبد المطلب، ت ٤٠هـ

٢- حديث الفرق الإسلامية ٣- الإمامة عند الشيعة أ. العنوان

ديوي ٢٣٨,١ ١٤٥٨ / ١٤٣٧هـ

رقم الإيداع: ١٤٥٨ / ١٤٣٧هـ

ردمك: ٥- ٤- ٩٠٧٢٦- ٦٠٣- ٩٧٨

للتواصل مع المؤلِّف:



@Altriri



/Altriri



Altriri@gmail.com



www.youtube.com/altririTV



www.altriri.net

حديث الغَدِير

مع سيدنا علي بن أبي طالب عليه السلام

في غَدِير خُمٍّ

عبد الوهاب الطريري



فِهرِسُ المُحتَوَيات

مُقَدِّمَة

مُيَمِّمًا وجهَه شطرَ مدينة أحبَّته وأحبَّها.. مودِّعًا مدينةً غفت في قلبه منذ أن تركها قبل سنوات مجافيًا قلبه هناك..

يحوطه الرِّفاق والأصدقاء.. وكل خُطوة يرفعها يعرف أنه لن يعود مرة أخرى لها..

ذهاب بلا عودة..

العمر معدود.. الساعات متلاحقة سريعة..

الكلمات مزدحمة.. كان يرتِّبها بعناية فائقة..

منهَك هذا الجمع بعد رحلة يضع فيها آخر النقاط على جملة اكتملت..

يقف بين مكة والمدينة..

على الغَدِير..

هذا الغَدِير يتَّسع لكل تعبهم.. وقف واستوقف.. نادى وجمع.. وهناك حمله الجمع على قلوبهم قبل أن يحمله مرتفع من الأرض..

يعبر الصحابة بعينيه تباعًا، وكلٌّ له مزيَّته، وكلٌّ يأتي أولًا..

إلا حبيبه ورفيقه وفداؤه عليٌّ جاء هذه المرة قبل الأول.. فكانت الكلمات له، والحضور له، والغَدِير ينصت شاهدًا على تتويجه..

بآذان صاغية واعية وعيون متطلِّعة مستطلعة، ورقاب تختلف لترى حبيبها صلى الله عليه وآله وسلم، كان الجمع مهيبًا، والكلمات جسورة واضحة، فما نسيه قلب وعاه قلب آخر.. وما نسيه البشر حفظه الحجر..

على الغَدِير ذاته فَرَشْتُ بساط الكلمات.. أستقرئُ بعض غيابها.. أبحث عن مكان عليٍّ عليه السلام في قلوب أصحابه.. أبحث عن مكانته في قلوبنا..

على الغَدِير.. نقف بأرواحنا، كما وقف الذين استوقفهم نبيُّنا صلى الله عليه وآله وسلم..

وننصت بمشاعرنا، كما انصت الذين استنصتهم..

فنتلقَّى بقلوبنا حبًّا وتعظيمًا لما قاله نبيُّنا، ونتلقَّى بعقولنا تفكُّرًا واعتبارًا فيما رُوي لنا عنه في هذا الموقف.

فلا مشاعر القلوب تحجب تفكُّر العقل، ولا تفكُّر العقل يطفئ وهج المشاعر..

فإلى دَوْحات الغَدِير، فثمة حَدَثٌ وحديث، وبلاغ ووصاة.. وهتاف بلوعة الوداع في آخر خُطَبه ... في آخر عمره...

المدينة النبوية المنورة

(٢/ ٢/ ١٤٣٧هـ)

❍ ❍ ❍

غَدِير خُمٍّ

في «غَدِير خُمٍّ» كان تتويج الفضائل لأمير المؤمنين أبي الحسن علي بن أبي طالب عليه السلام، فلم تُعلَن فضيلته في «غَدِير خُمٍّ»، وإنما تُوِّجت فضائلُه التي كانت تُشرق تباعًا؛ فهو الذي عهد إليه النبيُّ صلى الله عليه وآله وسلم أنه لا يحبُّه إِلَّا مؤمنٌ، ولا يبغضه إِلَّا منافقٌ[١].

وهو الذي قال له النبيُّ صلى الله عليه وآله وسلم: «**أما ترضَى أن تكونَ منِّي بمنزلة هارونَ من موسى، غيرَ أنه لا نبيَّ بعدي**»[٢].

وهو الذي قال له النبيُّ صلى الله عليه وآله وسلم: «**أنت مني، وأنا منك**»[٣].

وهو الذي أعلن النبيُّ صلى الله عليه وآله وسلم أنه يحبُّ اللهَ ورسولَه، ويحبُّه اللهُ ورسولُه[٤].

ويا لله لعلي عليه السلام وهو يمشي على الأرض ويعلم أن اللهَ عز وجل في ملئه الأعلى يحبُّه، وأن رسولَه صلى الله عليه وآله وسلم يحبُّه!

لقد ابتدأ تاريخ الإسلام وعليٌّ عليه السلام حاضر في

تاريخه، وتفتَّح وعيُ عليٍّ عليه السلام والإسلام حاضر في وعيه.

ها هي ذي ثلاث وعشرون سنة من عمر الرسالة عاشها عليٌّ عليه السلام مع رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم من أول يوم، يطويها يومًا يومًا، ويطوي معها بذله وعطاءه وصبره وجهاده.

ثلاث وعشرون سنة قضاها مع رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم الذي كان يدَّخره للعظائم، ويلاقي به الشدائد.

ثلاث وعشرون سنة لحق فيها الناسُ برسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فَوْجًا إثر فَوْج، لكنَّ عليًّا عليه السلام كان أولهم به لحوقًا، وأشدهم به لصوقًا[٥].

مضت ثلاث وعشرون سنة وعليٌّ عليه السلام مع رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، هو القريب حبًّا ونسبًا وصهرًا وجوارًا.

كيف تَنْسِبُ عليًّا عليه السلام إلى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم؟

هل تقول: حبيبه؟ فقد قال عنه: «**يحبُّه اللهُ ورسولُه**»[٦].

أم تقول: نسيبه؟ فهو ابن عمه شقيق أبيه.

أم تقول: صهره؟ فهو زوج ابنته فاطمة رضي الله عنها البَضْعة النبوية سيدة نساء العالمين، آثره بها، وأمنه عليها.

أم تقول: جاره؟ فداره أقرب دار لبيت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، تحضن بيتَه بيوتاتُ النبي صلى الله عليه وآله وسلم، فهو بينها كأحدها؛ ولذا كان ابن عمر رضي الله عنهما إذا سُئل عن علي عليه السلام قال: «انظر إلى بيته من بيوت النبي

صلى الله عليه وآله وسلم»[٧]. أي كفى بذلك قربًا ومنزلة.

إذا ذَكَر النبيُّ صلى الله عليه وآله وسلم أبناءه، فإذا هم أبناء عليٍّ رضي الله عنهم؛ يقول النبيُّ صلى الله عليه وآله وسلم: «**إن ابني هذا سيِّدٌ، ولعلَّ اللهَ أن يصلحَ به بين فئتين عظيمتين من المسلمين**»[٨]. فإذا هو الحسن بن علي بن أبي طالب رضي الله عنهما.

ويقول: «**إني لما رأيتُ ابنيَّ هذين يمشيان، لم أصبر أن قطعتُ كلامي ونزلتُ إليهما**»[٩]. فإذا هما الحسن والحسين ابنا علي بن أبي طالب رضي الله عنهم.

كان عليٌّ عليه السلام يمين رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم التي يمدُّها، وسيفه الذي يضرب به، إذا قال المصطفى صلى الله عليه وآله وسلم: «**قم يا عليُّ**»؛ فإن هناك شدة سيلقاها بعلي، كما قالها له يوم بدر؛ ليكون أول مبارز[١٠].

وكان عليٌّ عليه السلام المؤدِّي عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أمانته، حين تخلَّف في مكة يرد إلى أهلها ودائعهم[١١].

وكان عليٌّ عليه السلام المبلِّغ عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم رسالته يوم بعثه في موسم الحجِّ يقرأ على الناس «سورة براءة»، وينبذ إلى كل ذي عهد عهده، ويؤذنهم بأنه لن يحج بعد العام مشركٌ، ولن يطوف بالبيت عُريان[١٢]، فقد خلص البيت للتوحيد، وخلصت مكة للإسلام ببلاغ عليٍّ عليه السلام

عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم.

وبعد ثلاث وعشرين سنة جاء فيها نصر الله والفتح، ودخل الناسُ في دين الله أفواجًا، وأكمل الله دينه، وأتمَّ نعمته، واستكملت الأمة أداء خامس أركان الإسلام، فقضت حجة الوداع مع رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، فإذا النبيُّ صلى الله عليه وآله وسلم يستوقفهم في طريق القُفول من حجتهم إلى المدينة، لتُتَوَّج فضائل علي عليه السلام وتُستوفى مناقبه، وتُعلى لعليٍّ عليه السلام مكانته العالية، فكان لسيَّدنا علي عليه السلام في «غَدِير خُمٍّ» هذا الموقف الكريم، وتلك المنقبة العظيمة، ظاهرةً شاهرةً فلا خفاء، صريحةً بينةً فلا التباس.

فإلى «غَدِير خُمٍّ»؛ نقتص الخبر، نقف وكأننا مع النبي صلى الله عليه وآله وسلم حينما استوقف الناس، وننصت وكأنا مع النبي صلى الله عليه وآله وسلم حينما استنصت الناس، لنستروي الخبر ونعيش الحدث، فثمة حديث النبي صلى الله عليه وآله وسلم عن علي عليه السلام، فما أعظم المتحدِّث صلى الله عليه وآله وسلم، وما أعظم المتحدَّث عنه عليه السلام، وما أشرف الحديث عن مكانة عليٍّ وفضله ومنزلته في نفس كل مؤمن ومؤمنة.

❍ ❍ ❍

ما قبل الغَدِير

إن حديث الغَدِير جاء بعد مواقف من عليٍّ عليه السلام التبس فهمها على بعض الصحابة رضي الله عنهم، وعُتبى عتبوها عليه، وأَفْضَوْا بها إلى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، فكان من ثمرة المواقف التي كانت بدايتها عتبًا منهم على عليٍّ عليه السلام، وموجدةً وجدوها عليه أن تُوِّجت فضائلُه وأُشهرت مناقبُه، وأُعلنت ولايتُه لكل مؤمن ومؤمنة.

ودعونا نقتص الخبر بما تأتلف به رواياته ويكتمل به سياقه(١٣):

أرسل رسولُ الله صلى الله عليه وآله وسلم خالدَ بنَ الوليد رضي الله عنه بعد وقعة هَوَازن وحرب الطائف إلى اليمن، في غَزَاة لبعض القبائل المحاربة، فظفر بهم خالدٌ، وانتصر عليهم، وغنم أموالًا وسبيًا، ثم أرسل إلى النبي صلى الله عليه وآله وسلم: أن ابعث مَن يَخْمِس الفيء.

فأرسل النبيُّ صلى الله عليه وآله وسلم عليًّا عليه السلام؛

ليستتم الفتح، ويقبض الغنائم فيَخْمِسُها(*)، وكتب معه كتابًا إلى القبائل، يعرضه عليهم قبل القتال، وأمره أن يخيِّر جيش خالد رضي الله عنه: أن مَن شاء منهم أن يرجع فليرجع، ومَن شاء أن يتم المسير مع علي عليه السلام فله أن يتم.

وكان هذا أسلوبًا معروفًا في الجيش؛ بحيث يتعاقب المقاتلون في المعارك، ولا يتوالى غيابهم، فيشق ذلك عليهم.

فمضى عليٌّ عليه السلام وتسلَّم من خالد رضي الله عنه قيادة الجيش وما غنم، وعرض عليهم الرجوع لمَن رغب منهم، ومَن شاء مضى معه، فعاد مَن عاد، وبقي مَن رغب البقاء.

وتسلَّم عليٌّ عليه السلام الغنائم، واستتمَّ الفتح، فلما دنا من هَمْدان خرجوا إليه وتصافوا، فصلَّى عليٌّ عليه السلام بمَن معه، وصفَّهم صفًّا واحدًا، ثم تقدَّم بين يدي الجيش، حتى دنا من القوم، فقرأ عليهم كتاب رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، ودعاهم إلى الإسلام، فأسلموا جميعًا، فكتب عليٌّ عليه السلام بإسلامهم إلى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، فلما قُرِئ عليه الكتابُ خرَّ ساجدًا، ثم قال: «**السلامُ على هَمْدان**».

وخَمَس عليٌّ عليه السلام المغانم التي غنمها الجيش، وكان

(*) **التخميس** في اللغة هو: جعل الشيء خمسة أخماس، ويراد به هنا: إخراج خمس الغنيمة قبل قسمتها بين الجيش. ينظر: «المصباح المنير»، و«تاج العروس» مادة: «خ م س»، و«الموسوعة الفقهية الكويتية» (١١/ ٥٩).

وينظر في ضبطها: «لسان العرب» (٦/ ٧٠) «خ م س»، و«حاشية السندي على مسند أحمد» (١٣/ ٣٤٩).

في السَّبْي جاريةٌ حسناءُ، فلما خَمَس المغانم صارت في الخمس، ثم خَمَس فصارت في آل بيت النبي، ثم خَمَس فصارت في آل علي، فتسرَّى بها عليٌّ عليه السلام، ورآه مَن في الجيش يخرج من خِبائه وقد اغتسل وغطَّى رأسه، ورأسه يقطر ماءً، فوقع ذلك في نفوس بعض الجيش، ورَأَوْا في ذلك استئثارًا من عليٍّ عليه السلام.

وقال بُريدة بن الحُصيب الأَسْلمي رضي الله عنه- وكان في نفسه شيء على عليٍّ- لخالد بن الوليد رضي الله عنه- وكان أيضًا ممن يحمل في نفسه على عليٍّ-: أَلَا ترى إلى هذا ما يصنعُ؟! فقال خالدٌ لعليٍّ: يا أبا الحسن، ما هذا؟ فقال عليٌّ: ألم تر إلى الوَصِيفة التي كانت في السَّبْي، فإني قسَمت وخَمَسْتُ فصارت في الخمس، ثم صارت في آل محمد صلى الله عليه وآله وسلم، ثم صارت في آل علي، فوقعتُ بها.

فكتب خالدٌ رضي الله عنه إلى النبي صلى الله عليه وآله وسلم كتابًا يخبره فيه بما صنع عليٌّ، فقال بُريدة: ابعثني مصدِّقًا لكتابك. فبعثه خالدٌ بالكتاب.

قال بُريدة رضي الله عنه: فلما قدمتُ على رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ذكرتُ عليًّا فتنقَّصتُه، ثم قلتُ: إن عليًّا أخذ جاريةً من الخُمس. وجعلتُ أقرأ عليه الكتابَ، وأقول: صدق خالد، صدق، وكنتُ رجلًا مِكْبابًا- أي: أطرق برأسي ولا أرفعه وأنا أتحدَّث- فرفعتُ رأسي، فرأيتُ وجهَ رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قد تغيَّر واحمَرَّ، فأمسك بيدي والكتاب، وقال:

«**يا بُريدةُ، أتبغضُ عليًّا؟**». قلتُ: نعم يا رسولَ الله. قال: «**فلا تُبْغِضْهُ، وإن كنتَ تحبُّه فازْدَدْ له حُبًّا؛ مَن كنتُ مولاه فعليٌّ مولاه، والذي نفسي بيده، لنصيبُ آل علي في الخُمُس أفضلُ من وَصِيفةٍ وأكثر من ذلك**».

قال بُريدة رضي الله عنه: فما كان أحدٌ من الناس بعد قول رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أحبَّ إليَّ من عليٍّ.

ولعل ما وقع في نفس بُريدة وخالد رضي الله عنهما قد وقع في نفس غيرهما من الجيش، وأن ما كتب به خالدٌ هو ما يتحدَّث به غيره.

وكان جيش عليٍّ قد رَأَوْا أن إبلهم قد جَهِدت، فسألوا عليًّا عليه السلام أن يركبوا من إبل الصدقة ويحملوا عليها، ويريحوا إبلهم، فأَبَى عليهم، وقال: «إنما لكم منها سهمٌ كما للمسلمين». فلعل ذلك وقع في نفوسهم أيضًا.

وفي هذه الأثناء كان رسولُ الله صلى الله عليه وآله وسلم قد سار من المدينة إلى مكة لحجة الوداع، وكان عليٌّ عليه السلام قد فرغ وانطلق من اليمن راجعًا، فأراد أن يتعجَّل؛ ليدرك الحجَّ مع رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، وليسوق ما معه من بقية هَدْي النبي صلى الله عليه وآله وسلم، فأمَّر على الجيش رجلًا من أصحابه، وأسرع هو ليلحق برسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، ويدرك الحج معه، وأحرم بإحرام كإحرام رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، فقال: اللهمَّ إني أُهِلُّ بما أَهَلَّ به رسولُك.

فوصل والنبيُّ صلى الله عليه وآله وسلم في مكة قد طاف وسعى، ونزل في الأَبْطح، وحلَّ أصحابُه الذين لم يسوقوا الهَدْي، فدخل على زوجته فاطمة بنت رسول الله- وكانت قد حَلَّت من عمرتها- فوجدها قد لبست ثيابًا مصبوغة، واكتحلت، وطيَّبت بيتها، فعجب من حالها، وحِلِّها من إحرامها، وسألها عن ذلك، فقالت: أبي أمرني بذلك. فذهب عليٌّ عليه السلام محرِّشًا أباها عليها، كما يصنع الشَّبَبَة من الأزواج، فأخبر رسولَ الله صلى الله عليه وآله وسلم أن فاطمةَ قد حلَّت واكتحلت ولبست ثيابًا صَبِيغًا، وزعمت أنك أمرتها بذلك يا رسولَ الله؟ فقال صلى الله عليه وآله وسلم: «**صَدَقتْ، صَدَقتْ، صَدَقتْ، أنا أمَرتُها به**». ثم قال لعلي: «**بم أَهلَلْتَ؟**». قال: قلتُ: اللهمَّ إني أُهِلُّ بما أَهَلَّ به رسولُك. وكان معه الهَدْي، فقال له: «**فلا تَحِلَّ**». فاستتم عليٌّ عليه السلام الحجَّ مع النبي صلى الله عليه وآله وسلم في مناسكه ومشاعره.

فلما كان يوم النحر أمر النبيُّ صلى الله عليه وآله وسلم بهَدْيه، وكان مجموع ما ساقه النبيُّ صلى الله عليه وآله وسلم وما قدم به عليٌّ عليه السلام من اليمن مائة من الإبل، فقال النبيُّ صلى الله عليه وآله وسلم: «**ادعو لي أبا حسن**». فجاء عليٌّ عليه السلام، فأمره النبيُّ صلى الله عليه وآله وسلم أن يُمسك بأسفل الحربة، وأمسك هو بأعلاها، وجعل النبيُّ صلى الله عليه وآله وسلم يطعنها في نحورها، وهي تتدافع بين يديه أيها يبدأ به أولًا.

فلما نحر النبيُّ صلى الله عليه وآله وسلم ثلاثًا وستين منها،

بعدد سِنِي عمره المبارك أمر عليًّا أن يتولَّى وحده نحر ما بقي، وأشرك النبيُّ صلى الله عليه وآله وسلم عليًّا معه في هديه، وأمره أن يقوم على توزيعها على الناس، فقال له: «**اقْسِمْ لحومَها وجِلالَها وجُلودَها بين الناس، ولا تعط جَزَّارًا منها شيئًا، نحن نعطيه من عندنا، وخُذْ من كلِّ بعير حِذْية من لحم، ثم اجعلها في قِدْرٍ واحدة؛ حتى نأكلَ من لحمها ونحسُو من مرقها**».

وفي مشهد إمساك عليٍّ عليه السلام الحربةَ خلف النبي صلى الله عليه وآله وسلم وما يستلزمه ذلك من تقارب الجسدين الطاهرين ما يدل على تقارب الروحين وموادة القلبين.

إنه مشهد في التقارب لا يكاد يقع بين الإخوة الأشقاء، فضلًا عن الأصحاب والأصدقاء، ولكن الله أكرم عليًّا عليه السلام؛ ليرتقي إليه حُبًّا وقربًا من رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم.

ولعل لمشهد إمساك عليٍّ عليه السلام بأسفل الحَرْبة خلف النبي صلى الله عليه وآله وسلم وهو ينحر هَدْيه بعدد سِنِي عمره تأويلًا لحياة عليٍّ عليه السلام مع رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، وأن الرسولَ صلى الله عليه وآله وسلم قضى عمره في رسالته، وعليٌّ عليه السلام معه يحوطه من خلفه، ويدفع من أمامه، ولذا شاركه في نحر الهَدْي الذي كان يوافي العمر النبوي المبارك، كما شاركه في هذا العمر دعوته وجهاده.

ثم انظر كيف أشرك النبيُّ صلى الله عليه وآله وسلم عليًّا عليه السلام في الهَدْي، ولم يشرك ابنته فاطمة ولا زوجاته رضي الله

عنهن، على قربهن وقرباهن، ولا أشرك أحدًا من أصحابه.

ويكتمل المشهد المشاعري بين النبي صلى الله عليه وآله وسلم وعليٍّ عليه السلام عندما تتخيَّل جلوسهما إلى قدر واحدة فيها لحم هديهما ومرقه وهما يأكلان من اللَّحْم ويرشفان من المَرَق، إنها ليست كأي جلسة على خِوَانٍ أو وليمة طعام، إنهما يأكلان من قربانهما الذي اشتركا في التقرب به إلى الله سبحانه وقد استتما أعظم عبادة في أعظم يوم في أشرف مكان، تطفر من القلوب مشاعر الفرح بإتمام الحج، يتعاطيان غبطة الفرح بحب، ومشاعر الحب بفرح.

ربَّاه! كيف أتصور هذه المشاعر في أقرب قرب وأكرم حب، والله إني أتخيل المشهد كأني انتقلتُ إلى ذاك الزمان، ووقفتُ في ذلك المكان، وكأني أنظرُ بعيني إلى ما أتخيله فإذا اللفتات التي تبدو بسيطة عابرة تتجلَّى عميقة مؤثِّرة، فأشعر أن قلبي يجيش بمشاعر غامرة، لن أتكلَّف وصفها.

ولكن تخيل أنت ذاك المشهد، وانظر وكأنك تراه، وستتذوق ذاك الشعور وتعرف تلك المشاعر.

ولتقول لنا هذه المشاهد كلها: لقد كان عليٌّ من النبي بمكان.

إن ذلك كله تطبيق النبي لقوله لعلي: «**أنت مني، وأنا منك**»[١٤].

فصلَّى الله وسلَّم وبارك على نبينا وعلى آله.

ودعونا نعود الآن إلى جيش عليٍّ الذي خلَّفه، فقد ساروا

على إثره إلى مكة، ويبدو أن الرجل الذي أمَّره عليٌّ عليه السلام عليهم كان رجلًا سهلًا، يغلبه الجيش على ما يريدون، ولذا سألوه ما كان عليٌّ منعهم منه، وهو أن يرتحلوا إبل الصدقة ويريحوا إبلهم، فأجابهم لذلك فارتحلوها، وكساهم حُلَلًا من البَزِّ الذي كان مع عليٍّ عليه السلام، فلما قضى عليٌّ حجته قال له النبيُّ صلى الله عليه وآله وسلم: «**اخرُجْ إلى أصحابك حتى تقدم عليهم**». فخرج عليٌّ عليه السلام يتلقَّاهم، فاستقبلوه وعليهم الحُلَل، فقال لنائبه: ويلك، ما هذا؟ قال: كسوتُ القومَ؛ ليتجمَّلوا به إذا قدموا في الناس. قال: ويلك، انزع قبل أن تنتهي بهم إلى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم. فنزع الحُلَل وردَّها في البَزِّ.

ثم رأى عليٌّ عليه السلام في إبل الصدقة خللًا وجهدًا، وعرف أنها قد رُكبت، ورأى أثر المركب، فلام أميره على ذلك أيضًا.

ورأى الجيش في عمل عليٍّ عليه السلام ذلك غلظة وتضييقًا، وعزم بعضُهم أن يذكروا ذلك لرسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، وأن يخبروه بما فعل عليٌّ، وأنه قد أغلَظ لهم وضيَّق عليهم فيما يحسبون، واشتكى الناسُ ذلك الذي صنعه علي عليه السلام.

ربما كان سبب عتب الجيش وشكواهم أن نفوسهم قد تعلَّقت بما وُهب لهم، فشقَّ عليهم انتزاعه منهم، ولذا عتبوا

ويظهر أن العتب ليس من بُريدة وخالد رضي الله عنهما فقط،

فقد ورد أيضًا عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه[١٥]، ويظهر أنها نظرة عمَّت في أغلب الجيش، ومقالة فشت فيهم كلهم.

ولعل من أسباب شيوع العتب على عليٍّ عليه السلام أن عامة الجيش كانوا حديثي عهد بإسلام، وليس لديهم من فقه الجهاد وأحكام الغنائم ما عند عليٍّ عليه السلام، ولذا عالج النبيُّ صلى الله عليه وآله وسلم ذلك بخطاب عام يستل السخائم، ويبيِّن قدر علي عليه السلام، ويُعلي مكانته، وأن مَن كان بهذه المكانة فهو أعلى من أن تلحقه تهمة أو يتبعه عتب.

وإذا نظرنا إلى فعل علي عليه السلام وجدناه مسدَّدًا مصيبًا في كل ما فعل:

فالوَصِيفة التي تسرَّى بها لم يأخذها من عرض المغانم قبل أن تقسم، ولم ينتزعها من أحد كانت في نصيبه ويستأثر بها دونه، ولكنه خَمَس الغنائم، فوقعت في الخمس، وخَمَس الخُمس، فوقعت في نصيب آل رسول الله، ثم خَمَس فوقعت في نصيب آل علي، فتصرَّف فيما هو من نصيبه، ولذا قال النبيُّ صلى الله عليه وآله وسلم: «**والذي نفسُ محمد بيده، لنصيبُ عليٍّ في الخُمس أكثر من ذلك، لنصيبُ عليٍّ أكثر من وَصِيفة**». فلا عتب عليه حينئذ ولا ملامة.

وأما الثياب التي أُخذت من البَزِّ، فهي مما لم يُقسم للجيش، واستعمالها في السفر إخلاق لها، وعليٌّ عليه السلام أعلم منهم وأفقه بأحكام الغنائم؛ فهو الذي سبق إلى الجهاد مع رسول الله

صلى الله عليه وآله وسلم من أول غزوة غزاها، وقد علم منه حرمة الغنائم، وحرمة ما لم يُقسم منها، ولذا بادر إلى انتزاعها منهم؛ لأنهم لبسوا ما لم يقسم لهم، وما تتعلَّق به حقوق لغيرهم.

وكذا حمايته لإبل الصدقة أن تجهد في حمل أو ركوب؛ لأنها نصيب الفقراء والمساكين ومَن لهم حق فيها، فكان عليٌّ عليه السلام يرعى مال وحق هؤلاء الذين لا يستطيعون حماية حقهم لبعدهم وضعفهم، وأن على الجيش أَلَّا يريحوا إبلهم بإجهاد إبل الصدقة، ولذا قال عليٌّ عليه السلام: «إنما لكم منها سهمٌ كما للمسلمين». أي: فليست لكم خاصة، ولكن للمسلمين المستحقين لها نصيبهم الذي لا يجوز التعدِّي عليه، فلا يجوز أن توزَّع بعد ذلك على مستحقيها وهي هزلى مجهودة.

ورضي الله عن أبي الحسن، فما انتزع الثياب ليقتنيها ولا ليتاجر بها، ولكن لأنها نصيب مَن هو أحق بها وأحوج إليها، ولا أراح إبل الصدقة لأن له بها حاجة أو نصيبًا، فهو ممن تحرم عليهم الصدقة.

وعتب الصحابة الذين كانوا في الجيش على علي عليه السلام يشبه عتب الأنصار على رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم عندما قسم غنائم حُنين، فأعطى المؤلَّفة قلوبهم من الخُمس المئات من الإبل، ولم يعط الأنصار، فوجدوا في أنفسهم، حتى جمعهم النبيُّ صلى الله عليه وآله وسلم، وبيَّن أنه يتألَّف مَن لم يتمكَّن الإيمان من قلوبهم، ووكلهم إلى ما جعل

الله في قلوبهم من خير، فرضوا وطابت نفوسهم[١٦].

مع أنه صلى الله عليه وآله وسلم أعطى المؤلَّفة قلوبهم ولم يعط قرابته وآل بيته، ولا أعطى أصحاب السابقة من أصحابه، ولا استبقى شيئًا لنفسه!

رضي الله عن أبي الحسن، فهو الذي عبرت حياته على الكفاف من العيش والاقتصاد في متع الحياة، فأشواقه كانت هناك في الملأ الأعلى، وكان أشبه الناس حياةً بحياة النبي صلى الله عليه وآله وسلم، بيته كبيوت النبي صلى الله عليه وآله وسلم متقارب الجدر، متطامن السقف، قليل المتاع، لا خادم في بيته، فزوجته سيدة نساء العالمين، تطحن على الرَّحى حتى مَجِلتْ يدها[*]، وتكنس بيتها حتى اتسخت ثيابها، وتخبز على التنور حتى أثَّر في وجهها، وتستقي الماء بالقربة حتى أثَّر في عاتقها!

وكان رسولُ الله صلى الله عليه وآله وسلم يعلم بحالهم، ومع ذلك لم يؤثرهم بعطاء، ولم يختصهم بمال، ولكن آثرهم بأجر الآخرة الباقي على متاع الدنيا الزائل.

فهذه ابنة المصطفى وزوج علي وسيدة نساء العالمين عليها السلام تذهب إلى أبيها رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم في بيت عائشة رضي الله عنها، حتى تسأله أن يُخْدِمَها خادمًا من سَبْي قُدِم به عليه، يكفيها مؤونة العمل، فلم تجد النبي صلى الله عليه

(*) مجلت اليد: إذا يبس باطنها وغلظ وظهر فيه ما يشبه البَثْر من العمل بالأشياء الصلبة الخشنة. ينظر: «النهاية» (٤/ ٣٠٠)، و«حاشية السندي على مسند أحمد» (١/ ٤١٤).

وآله وسلم، ولما بين فاطمة وعائشة رضي الله عنهما من المحبة والموادة والمكاشفة أخبرتها بسبب مجيئها، وأفضت إليها بحاجتها، ثم رجعت إلى بيتها.

فلما عاد النبيُّ صلى الله عليه وآله وسلم إلى بيته عِشاءً بادرت عائشةُ رضي الله عنها فأخبرته بمجيء فاطمة عليها السلام وحاجتها.

فذهب النبي صلى الله عليه وآله وسلم من فوره إلى فاطمة في بيت زوجها، فأتاهما وقد أخذا مضاجعهما من الليل، قال عليٌّ عليه السلام: وعلينا خَمِيصة، إذا تغطَّينا بها طولًا بدت جنوبنا، وإذا تغطَّينا بها عرضًا بدت أرجلنا ورؤوسنا. فأردنا أن نقوم، فقال: «**مكانكما**». فجلس بينهما النبيُّ صلى الله عليه وآله وسلم وهما مضطجعان، قال عليٌّ عليه السلام: حتى وجدتُ برد قدمه على صدري، ثم قال: «**أَلَا أدلكما على خير مما سألتماني؟**». قلنا: بلى. فقال: «**إذا أخذتما مضجعكما فسبِّحا ثلاثًا وثلاثين، واحمدا ثلاثًا وثلاثين، وكبِّرا أربعًا وثلاثين، فهو خيرٌ لكما من خادم، والله لا أعطيكما، وأَدَعُ أهلَ الصُّفَّة تَطْوَى بطونُهم من الجوع(*)، لا أجدُ ما أنفقُ عليهم، ولكن أبيعُهم وأنفقُ عليهم أثمانَهم**»(١٧).

بهذا التعليم النبوي تعلَّم عليٌّ وفاطمة عليهما السلام.

وبهذه التربية النبوية تربَّى عليٌّ وفاطمة عليهما السلام.

ثم فتح الله على نبيِّه صلى الله عليه وآله وسلم، فقسم الإبل

(*) أي: خالية بطونهم من الجوع، لم يأكلوا. ينظر: «النهاية» (٣/ ١٤٦).

بالمئات، ولكنه لم يقسم لعليٍّ عليه السلام، ولم يؤثره ولم يخصّه.

وقسم المال حَثْوًا حَثْوًا بالثياب، ولكنه لم يَحْثُ لعلي عليه السلام.

وأقطع بعض الصحابة أراضي ومعادن، ولكنه لم يقطع عليًّا عليه السلام موضع عصا فما فوقه.

وعاش عليٌّ عليه السلام مع رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم كما كان يعيش رسولُ الله صلى الله عليه وآله وسلم، مسكنه كمسكن النبي صلى الله عليه وآله وسلم بساطةً وتواضعًا، وعيشه كعيش النبي صلى الله عليه وآله وسلم كفافًا وتقشُّفًا.

ثم عاش عليٌّ عليه السلام بقية عمره بعد رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم على ذات الحال التي عاشها مع رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، مع اتِّساع الدنيا وانفتاحها بعد رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم حين انفسحت الأرض بالفتوح، وأَغْدَقت خيرات الدنيا على الناس، فصاروا يهدِبونها[*]، إلا عليًّا عليه السلام فقد بقي على الحال التي فارق عليها رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم.

ولما ولي الخلافة وصارت الأموال كلها بين يديه، لم يرزأ المسلمين شيئًا من دنياهم، ولا تخوَّض في أموالهم، ولم يُنقل عنه في أمر المال إلا التحرِّي لا التجرِّي[١٨].

وكان لا يجتمع في بيت المال بالكوفة مال إلا نادى في

(*) أي: يجتنون ثمرتها.

الناس فقَسَمه بينهم، حتى إنه أعطى الناس في عام واحد ثلاث أُعطيات، ثم قدم عليه خراج أَصْبهان، فقام في الناس، فحمد الله وأثنى عليه، ثم قال: «أيها الناس، اغدوا إلى العطاء الرابع فخذوه، فإني والله ما أنا لكم بخازن». فقسمه بينهم، ثم أمر ببيت المال فكُنس، ثم رُشَّ بالماء، فصلَّى فيه ركعتين، ثم قال: «يا دنيا، غُرِّي غيري».

وكان أعرف الناس بالدنيا، وأزهدهم فيها، ولذا كان يقول للدنيا: «إليَّ تشوَّفتِ، إليَّ تَغَرَّرْتِ، غُرِّي غيرِي، قد طلَّقتك ثلاثًا؛ فعمرُك قصير، ومجلسُك حَقِير، وخَطَرُك(*) يسير»[١٩].

ولم يكن زهد الإمام علي عليه السلام جهلًا منه بطُرق التنعم، ولا عجزًا عنه، ولكنه إيثار الآخرة على الدنيا، والنظر في حقوق الناس في المال، وتأخير حقه، ولذا قال- كما في «نهج البلاغة»-: «ولو شئتُ لاهتديتُ الطريق إلى مصفَّى هذا العسل، ولُباب هذا القمح، ونسائج هذا القزِّ، ولكن هيهات أن يغلبَني هوايَ، ويقودَني جشعي إلى تخيُّر الأطعمة؛ ولعلَّ بالحجاز أو باليمامة مَن لا طَمَعَ له في القُرْص، ولا عَهْدَ له بالشِّبع»[٢٠].

يالله انظر إلى قوله: «ولعل بالحجاز أو باليمامة مَن لا طَمَعَ له في القُرْص، ولا عَهْدَ له بالشِّبع». وقارنه بقول النبي صلى الله عليه وآله وسلم له ولفاطمة رضي الله عنهما لما سألته خادمًا: «**والله لا أُعطيكما، وأَدَعُ أهلَ الصُّفَّة تَطْوَى بطونُهم من الجوع**»[٢١]. لترى كيف فَقِهَ عليٌّ عليه السلام عن رسول الله صلى الله عليه

(*) أي: قدرك ومنزلتك.

وآله وسلم، وسار على أَثَرِه، واقتفى طريقته.

ولذا عبرت سنوات خلافته وهو يقسم الأموال، حتى ما يُبقى في بيت المال منها شيئًا، لكنه ما بنى لنفسه قصرًا، ولا اتَّخذ ضِياعًا، ولا تأثَّل مالًا.

ولم يكن له إلا عطاؤه القليل المخصَّص لأمير المؤمنين في بيت المال، فلما استشهد أعلن سيِّد المسلمين وأمير المؤمنين الحسن بن علي رضي الله عنهما كشف حساب بثروة أبيه علي عليه السلام، فقال: «ما ترك دينارًا ولا درهمًا، إلا سبعمائة درهم، أخذها من عطائه، أرصدها ليشتري بها خادمًا لأهله»(٢٢).

يا لله، أخذها من عطائه، أي: من مُرتَّبه من بيت المال، فلم يكن هذا المبلغ ليجتمع عنده ولا يتوفر له.

بل إن سنوات الخلافة التي أفضت إليه في آخر عمره ما كان فيها شيء من سطوة السلطة وزَهْوها، أو نعيم ثرائها وبَذَخِها، لكنها كانت سنوات كَبَد وجَهْدٍ وكَدَر، حتى لتظن أنها من أشق سنوات عمره عليه السلام، قطعها وهو يكابد جمع الفرقة، ودفع الفتنة، ولَمَّ الشَّعَث، ويسوس جيلًا لم يدرك ما أدركه مع رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، فكابد الفتن والأهواء، وقاتل البُغاة والخوارج، وكانت خلافته جهادًا آخر لحياطة الأمة واستصلاحها، ولَمِّ ما تفرق منها، حتى خضب سيفُ الفتنة وجهَه الكريم بالدم وهو يمشي إلى صلاة الفجر.

إن عليًّا عليه السلام غُرَّة المؤمنين الذين صدقوا ما عاهدوا

الله عليه، حتى قَضَوْا نحبهم، وما بدَّلوا تبديلًا.

إن عليًّا عليه السلام من الذين جاهدوا وبذلوا، ثم أَفْضَوْا إلى ربهم خِفافًا، لم يتعجَّلوا شيئًا من أجورهم؛ ليستوفوها في الآخرة عطاءً كريمًا من مولى كريم.

إننا إذا أحببنا عليًّا عليه السلام، فإنا نحب مَن يحبه اللهُ في ملكوته الأعلى، وإذا أحببنا عليًّا عليه السلام، فإنا نحب مَن كان رسولُ الله صلى الله عليه وآله وسلم يحبه ويستعلن بحبه.

وإذا أحببنا عليًّا عليه السلام أحببنا مَن كان مِن رسول الله وكان رسولُ الله منه؛ إذ قال له المصطفى صلى الله عليه وآله وسلم: «**أنت مني، وأنا منك**»(٢٣).

وإذا أحببنا عليًّا عليه السلام وتولَّيناه، فإنا نحقِّق بذلك ولاية رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم الذي قال: «**مَن كنتُ مولاه فعليٌّ مولاه**»(٢٤).

وإذا أحببنا عليًّا عليه السلام، فإنا نرجو أن نكون بذلك حقَّقنا إيماننا، فهو الذي عهد إليه النبيُّ صلى الله عليه وآله وسلم أنه لا يحبُّه إلا مؤمنٌ، ولا يبغضه إلا منافقٌ(٢٥).

وإذا أحببنا عليًّا عليه السلام، فقد أحببنا مَن شهد له الرسولُ صلى الله عليه وآله وسلم وهو يمشي على الأرض أنه من أهل الجنة، فقال: «**وعليٌّ في الجنة**»(٢٦). فعسانا نُصِيبُ بحبِّنا له مرافقته في الجنة، فإن «**المرءَ مع مَن أحب**»(٢٧).

○ ○ ○

غَدِير خُمٍّ
الزمان والمكان

أما الزمان: فيوم الأحد، الثامن عشر من شهر ذي الحِجَّة، سنة عشر من الهجرة، الموافق (١٦ مارس آذار، سنة ٦٣٢م)، وقد فرغ النبيُّ صلى الله عليه وآله وسلم من حجة الوداع، وودَّع الناس، وقال: «**لعلِّي لا ألقاكم بعد عامي هذا**»[٢٨]. فتفرَّق الناسُ كلٌّ ذهب في وجهه، كما قال ابن عباس رضي الله عنهما: «كان الناس ينفرون من منى إلى وجوههم»[٢٩]. أي: إلى ديارهم ومنازل قبائلهم، وبقي مع النبي صلى الله عليه وآله وسلم أهلُ المدينة ومَن كانت منازلهم في طريقه ووجهته.

وسار رسولُ الله صلى الله عليه وآله وسلم من مكة صَبِيحة يوم الأربعاء الرابع عشر من شهر ذي الحجة، ووصل غَدِير خُمٍّ يوم الأحد، أي: في اليوم الرابع من مسيره من مكة.

وأما المكان: فغَدِير خُمٍّ، موضع بين مكة والمدينة، يبعد عن مكة (١٥٩كم) شمالًا، وعن المدينة (١٩٦كم) جنوبًا، ويبعد عن ميقات الجُحْفة (٦,٥كم) شرقًا، ويبعد عن رابغ (١٨كم)

شرقًا(*)، ويُسمَّى مكانه اليوم: الغُرَبَة[٣٠].

والوصول إليه للمسافر بين مكة والمدينة يعني قطع نصف المسافة تقريبًا، وليس الغَدِير على طريق القوافل إلى المدينة، ولكنه شرق الطريق غير بعيد عنه يميل إليه المسافرون؛ لوجود الماء الذي يجتمع في الغَدِير، وأرضه سهلة منبسطة، وفيه شجر ملتف في غَيْضة تسمَّى: خُمًّا، سُمِّي الغَدِير باسمها، فقيل: «غَدِير خُمٍّ». ولذا فهو من أماكن نزول المسافرين للتزود بالماء ووجود الظل وانبساط الأرض.

ولعل ذلك من أسباب اختياره صلى الله عليه وآله وسلم لخطبته؛ وذلك لانبساط أرضه وسهولتها، فيسهل اجتماع الناس فيه، وجلوسهم حول النبي صلى الله عليه وآله وسلم، وهو بهذا يشبه وادي عُرَنة الذي خطب فيه النبيُّ صلى الله عليه وآله وسلم يوم عرفة[٣١]، فهو وادٍ أَفْيح فسيح دَمِث الأرض، يسهل اجتماع الناس فيه وجلوسهم عليه.

وعندما زُرْتُ الغَدِير في هذا العام (١٤٣٧هـ) لقيتُ بعض المعمَّرين من كبار السن ممن وُلدوا ونشأوا حول الغَدِير في وادي الجُحْفة، ورويتُ عنهم ما أدركوه من حالة الغَدِير قبل أن تتبدَّل حاله، وتذهب رسومه ومعالمه.

فعلمتُ منهم أن الوادي كانت به قديمًا عيونٌ جارية، وأشجارٌ ملتفة، وغَيْضاتٌ ومزارع ونخيل.

(*) الأبعاد بالمسافة الهوائية بخط مستقيم، وليس بمسافة طرق السير.

وأن الغَدِير كان على شفير الوادي، ولم يكن واسعًا مستبحرًا، وإنما كان متقارب الأطراف، فطوله بضعة أمتار، وعرضه كذلك، يجري إليه الماء من عين تنبع من صدع صخري فوقه فتصب فيه، وأن ماءه ساكن على قدر معين، فلا يغيض ولا يفيض، رغم استمرار تدفق الماء إليه من النبع، أما إذا نزل المطر وسال الوادي فإن الغدير يفيض، وتتَّسع مساحته، حتى تصل إلى عشرات الأمتار طولًا وعرضًا، ثم نضب ماء النبع وجفَّ الغَدِير بعد ذلك.

وفي عام (١٤٠٦هـ) جرى الوادي بسيلٍ كبير جارف دفن الغَدِير، وبقي المكان كما كان، يدل أثره على سابق حاله، وتحكي بقيته ما كان من خبره.

أما الآن فقد رُكمَ فوقه ردمٌ ترابي، وشيد عليه جسر خَرَساني، تمر من فوقه سكة القطار.

فلم يبق للأثر أثرٌ، ولا من المكان مكانٌ؛ إلا شظية مطمورةٌ على حافة الوادي في زاوية الجسر، تبرَّع أحد العابرين فكتب عندها: «غَدِير خُمٍّ»، وكان أولى به أن يكتب: كان هنا «غَدِير خُمٍّ».

❍❍❍

ذاكرة المكان

ماذا ستذكر ذاكرة المكان لو تذكَّرت، وماذا ستحدِّث الأرض من أخبارها لو تحدَّثت، هذا ما كان يجيش في نفسي وأنا أُطَوِّف في رِباع غَدِير خُمٍّ، وكأن الحياة تسري في أحجار الجبل، وأغصان الشجر، وبطحاء الوادي، وكأن وقع الأقدام لا زال يدف حولي، ورَجْع صدى الكلمات يُدوِّي في أذني.

لقد زُرْتُ مكان الغَدِير قريبًا من منتصف النهار، وهو الوقت الذي كانت فيه خطبة النبي صلى الله عليه وآله وسلم عنده، ووقفتُ قرب الغَدِير وتجوَّلت حوله، فاخترق الخيال حجب الزمن، فكنتُ أسيرُ وأنا أقول: لعلَّ قدمًا يقعُ على قدم، كما كان ابن عمر رضي الله عنهما يقول: «لعل خفًّا يقعُ على خفٍّ»[٣٢].

أهنا كان رسول الله؟ أهنا دفت أقدامه؟ أهنا تضوعت أنفاسه؟ أهنا جلس وصلَّى وخطب؟ أهذه الجبال من حولي سمعت ذاك النداء النبوي؟ وتجاوبت مع صلاته وتلاوته وذكره؟: ﴿يَٰجِبَالُ أَوِّبِي مَعَهُۥ﴾ [سبأ: ١٠].

تراءت لي أطياف الصحابة رضي الله عنهم وأنا أسيرُ حول

الغَدِير وأتلفَّت إلى شجرات السَّمُر حولي في الوادي وأتخيَّل الصحابة وهم منتشرون تحت ظلالها، ثم إذا هم يتواثبون مسرعين استجابة لنداء: «الصلاةَ جامعةً».

أنظرُ في انفساح الوادي أمام ناظري، فتتراءى لي زحوف الألوف من الصحابة متراصَّة متقاربة كلهم حول رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يبادرون القرب منه، لكن أقربهم إليه وأدناهم منه علي عليه السلام.

أتخيلهم وهم يستمعون لخطبة النبي صلى الله عليه وآله وسلم بعيون شاخصة إليه، وآذان مصغية له، ونظرات الحب والتعظيم تشع من عيونهم، والغبطة والفرح بصحبة رسول الله تطفح على وجوههم، وكلمات رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم تتلقَّاها القلوب المؤمنة قبل الآذان المصغية.

جبال المكان وأحجاره وترابه تكاد تنطق لتروي الخبر وتقُص القَصَص.

عشتُ الحَدَث في المكان، فكان للمكان مكانتُه، وللمشهد عظمتُه، وللموقف رهبتُه.

ربَّاه كل شيء هنا، يقول: كان رسول الله هنا.

○ ○ ○

خطبة الغدير

سبق هذه الخطبة تهيئةٌ وتحفيزٌ للناس؛ بدءًا من اختيار المكان المناسب لها، وهو سهل الغَدِير، واختيار اليوم الثامن عشر من ذي الحجة؛ فإن الناس قد فرغوا من حجهم، وانتهت مهمتهم التي قصدوها وشُغلوا بها، وخرجوا من مكة ولم يدخلوا المدينة بعدُ فينشغلوا بأمور دنياهم التي تنتظرهم، فهم في حال صفاء ذهني وتَهَيُّؤٍ لاستقبال القول وضبطه، وكذا اختيار الوقت، وهو بعد صلاة الظهر، وهو وقت يقظة وانتباه بعد راحة وإجمام، وهو بهذا يشبه وقت خطبة الجمعة، وكانت أغلب خطب النبي صلى الله عليه وآله وسلم المهمة في المدينة في هذا الوقت بعد صلاة الظهر[٣٣]، ونادى لها في الناس: «**الصلاةَ جامعةً**»[*]. وهو نداء الفزع وحدوث أمر يُجمع الناس له.

وهُيِّئ لرسول الله صلى الله عليه وآله وسلم مكان خطبته، فكُنس له مكانٌ بين شجرتي سَمُر، ورُفع منه ما يتساقط عادة من شوك الشجر وأعواده، وأُلقي عليها كساء يُظلِّه؛ لشدة الحر ذلك

(*) بنصب «الصلاة» على الإغراء، و«جامعة» على الحال. ينظر: «شرح صحيح مسلم» للنووي (١٨/ ٨٠).

اليوم، وجُمع له الناس، فرجع إليه مَن كان متقدِّمًا، ولحق به مَن كان متأخِّرًا.

فصلَّى الظهر، ثم قام فيهم خطيبًا، فحمدَ اللهَ، وأثنى عليه، ثم وعظ وذكَّر، فقال: «**أيها الناسُ، هل بلَّغتُ**». قالوا: نعم. قال: «**اللهمَّ اشهدْ، اللهمَّ اشهدْ، اللهمَّ اشهدْ**».

ثم قال: «**أما بعدُ، أيها الناسُ، فإنما أنا بشرٌ، يُوشِكُ أن يأتيني رسولُ ربي عز وجل فأجيبَه، وإني تاركٌ فيكم ثقلين: أولهما كتابُ الله عز وجل، فيه الهدى والنور، هو حبلُ الله، مَن استمسكَ به وأخذَ به كان على الهُدى، ومَن تركه وأخطأه كان على الضلالة، فخذوا بكتاب الله واستمسكوا به**». فحثَّ على كتاب الله ورغَّب فيه، ثم قال: «**وأهلُ بيتي، أذكِّرُكمُ اللهَ في أهل بيتي، أذكِّرُكمُ اللهَ في أهل بيتي، أذكِّرُكمُ اللهَ في أهل بيتي**».

ثم أخذ بيد علي عليه السلام فأقامه، فقال: «**ألستم تعلمونَ أني أولى بالمؤمنين من أنفسهم؟**». قالوا: بلى. قال: «**ألستم تعلمونَ أني أولى بالمؤمنين من أنفسهم؟**». قالوا: بلى. قال: «**ألستم تعلمونَ أني أولى بالمؤمنين من أنفسهم؟**». قالوا: بلى. قال: «**ألستم تعلمونَ أني أولى بكل مؤمن من نفسه؟**». قالوا: بلى، نحن نشهدُ، لأنت أولى بكل مؤمن من نفسه. قال: «**فإني مَن كنتُ مولاه، فعليٌّ مولاه، اللهمَّ والِ مَن والاه، وعادِ مَن عاداه**»(٣٤).

ربَّاه كيف كان شعور عليٍّ ومشاعره وهذه الألوف حول

رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، ولكنه هو أقربهم إليه وأدناهم منه.

ما شعور عليٍّ ويده في يد رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يرفعها أمام كل هذه الزحوف الألوف؟!

ما شعورُ عليٍّ ومشاعرُه وأذناه تتروَّى من قول الرسول صلى الله عليه وآله وسلم: «**من كنتُ مولاه، فعليٌّ مولاه**»؟!

أتخيلُ عليًّا عليه السلام وأحاول أن أتذوق مشاعره تلك، فكأنما يعرج به إلى الملأ الأعلى، كأنما يد رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ترفع يده فترفعه إلى علياء السماء، ينظر من تحته إلى الدنيا كلها، فيراها دون هذا المقام وتحت هذه الرفعة التي سما به إليها نداء رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ذلك.

أي طاقة نفسية لدى سيِّدنا عليٍّ عليه السلام احتملت هذه المشاعر ثم تمالكت وتماسكت فلم تنفرط عاطفته، ولم تطفر دموع الفرح من عينيه، فهذا نداء نبيِّه صلى الله عليه وآله وسلم الذي آمن به، وحبيبه الذي أحبَّه وبادله الحب، هذه كلمة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم الذي لا ينطق عن الهوى، إن هو إلا وحي يوحى، فما قال إلا حقًّا وما نطق إلا صدقًا.

أي أُفق ارتقى إليه في تلك اللحظة، وأي سرور ملأ جوانحه بتلك الكلمة، إنه الشرف الذي يتطامن أمامه كل شرف، والفخار الذي يتدلَّى دونه كل فخار.

كلما تذكرتُ هذه اللحظة في حياة عليٍّ عليه السلام

وحاولتُ تذوق شعوره وتخيل مشاعره، رأيتُ أن العبارة لا تكفي للتعبير، وأن البيان يتعثر حين يحاول التصوير، فاحتشاد المشاعر في النفس أكبر وأكثر من أن تحتويها عبارة أو يصفها كلام، فقط تخيلها وحاول أن تعيش أثرها في نفسك لتقول:

عليك سلام الله يا أبا الحسن، فقد كان فضل الله عليك عظيمًا، وحق لك أن تفرح بذلك وتسر، ﴿قُلْ بِفَضْلِ ٱللَّهِ وَبِرَحْمَتِهِۦ فَبِذَٰلِكَ فَلْيَفْرَحُواْ هُوَ خَيْرٌ مِّمَّا يَجْمَعُونَ﴾.

عليك سلام الله يا أبا الحسن، ولِيَهْنِكَ فضلُ الله عليك وكرامتُه لك، وقربُك وقرباك من رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، فـ﴿ٱللَّهُ أَعْلَمُ حَيْثُ يَجْعَلُ رِسَالَتَهُۥ﴾، ﴿أَلَيْسَ ٱللَّهُ بِأَعْلَمَ بِٱلشَّٰكِرِينَ﴾.

ثم يا ترى كيف كانت مشاعر صحابة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وهم يسمعون هتاف الرسول بلوعة الوداع: «**إنما أنا بشرٌ، يُوشِكُ أن يأتيني رسولُ ربي عز وجل فأجيبَه**» فتشخص العيون الوامقة بحب، وترجف القلوب المحبة بلهف، إنها وصية مودِّع وعهد وداع، فكيف سيتلقَّى المحبون وصاة محبوبهم في آخر عهدهم به.

كيف كانت مشاعر الصحابة رضي الله عنهم وهم يرون عليًّا عليه السلام من رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بهذه المكانة والاحتفاء، فيسمعون المناشدة له، والتأكيد لحقِّه، فيَسْتَلُّ ذلك ما كان في بعض النفوس من مَوجِدة، لَيحِلَّ محل العتب حفاوة،

ومحل المَوجِدة حب، ومحل الحب مزيد من الحب.

إن هذا الاحتفاء بعليٍّ عليه السلام يأتي والجزيرة كلها إسلام، وأهلها كلهم مسلمون، وها قد وافى الحج مع رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أكثر من مئة ألف، لا يتبعون إلا رسولَ الله، ولا يدينون إلا بدينه.

إنه موقف وفاء من رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم لسابقة عليٍّ عليه السلام إلى الإسلام يوم أسلم وقد تردَّد أناسٌ، وأقدم وقد أدبر آخرونَ، أسلم عليٌّ عليه السلام والرسالة في إشراقها الأول، فلا عصبة ولا أَتْباع، أسلم والشرك يحيط به، والأوثان تنتصب أمامه، وليس على الأرض مسلم إلا هو وثلاثة نفر، فكانت الشمس تشرق على الأرض وعليٌّ عليه السلام فيها رُبُع الإسلام، ثم كان إسلامه إيمانًا يزداد يقينًا، وإقدامًا يزداد مَضَاء، وعطاؤه للدين ورسوله أعظم العطاء وأسخاه، إنه بذل النفس والتعرض للهلكة والوقوف على شفير الموت؛ نصرة للدين، وحماية للرسول والرسالة، فهو صاحب المبارزة الأولى في بدر(٣٥)، والاقتحام الظافر في الخندق(٣٦)، والنفوذ الفاتح يوم خيبر(٣٧).

فكان في هذا الموقف وفاء لتلك السابقة لعلي عليه السلام الذي انطلق مع انطلاق الدعوة، وبادر إسلامه إشراق الرسالة، إنه حُسْن العهد من رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم لعلي عليه السلام، وهو القائل: «**إن حُسْنَ العهد من الإيمان**»(٣٨).

لقد دخلت في الاسلام أفواجٌ وقبائلُ وأممٌ، ولكن هؤلاء أسلموا من بعد، وعليٌّ عليه السلام أسلم من قبل، فكان السابق لهم كلَّهم، وقد قال الله تعالى: ﴿لَا يَسْتَوِي مِنكُم مَّنْ أَنفَقَ مِن قَبْلِ الْفَتْحِ وَقَاتَلَ أُولَٰئِكَ أَعْظَمُ دَرَجَةً مِّنَ الَّذِينَ أَنفَقُوا مِن بَعْدُ وَقَاتَلُوا وَكُلًّا وَعَدَ اللَّهُ الْحُسْنَىٰ﴾ [الحديد: ٩]، فكان يوم الغَدِير لعليٍّ عليه السلام يوم بِرٍّ ووفاء.

❍ ❍ ❍

أثر خطبة الغَدِير

تلقَّى الصحابة رضي الله عنهم مقالةَ النبي صلى الله عليه وآله وسلم بحفاوة وقبول، ووعوها وحفظوها وبلَّغوها، وظهر ذلك في إجلالهم لعليٍّ عليه السلام وحبِّهم له، وروايةِ فضائله، حتى قال أئمة الحديث: «لم يُرْوَ في فضائل أحد من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بالأسانيد الصِّحاح ما رُوي في فضائل علي بن أبي طالب رضي الله عنه»(٣٩).

أ) فهذا عمر رضي الله عنه يَلْقَى عليًّا عليه السلام، فيهنِّئه بهذا المقام، ويقول له: «هنيئًا يا ابنَ أبي طالب، فقد أصبحتَ وأمسيتَ مولَى كلِّ مؤمن ومؤمنة»(٤٠).

ب) وأثَّر حديث النبي صلى الله عليه وآله وسلم في وِجْدانهم حُبًّا لعلي عليه السلام، حتى قال بُريدة رضي الله عنه- وهو الذي كان يبغض عليًّا قبلها-: «فما كان من الناس أحدٌ بعد قول رسول الله أحبَّ إليَّ من عليٍّ»(٤١).

وقيل لعمر رضي الله عنه: «إنك تصنع بعلي شيئًا، لا تصنعه بأحد من أصحاب النبي صلى الله عليه وآله وسلم؟». فقال: «إنه مولاي»(٤٢).

وجاءه رهطٌ من الأنصار فيهم أبو أيوب الأنصاري إلى علي رضي الله عنهم بالرَّحَبَة، فقالوا: «السلام عليك يا مولانا». فقال: «كيف أكونُ مولاكم، وأنتم قوم عُرْبٌ؟». قالوا: سمعنا رسولَ الله صلى الله عليه وآله وسلم يوم غَدِير خُمٍّ يقول: «**مَن كنتُ مولاه، فعليٌّ مولاه**»(٤٣).

ورضي الله عن الصِّدِّيق أبي بكر الذي قال: «والذي نفسي بيده، لقرابةُ رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أحبُّ إليَّ أن أصلَ من قرابتي»(٤٤).

وعندما ولي الخلافة قال- وهو على المنبر-: «يا أيها الناسُ، ارْقُبُوا محمدًا صلى الله عليه وآله وسلم في أهل بيته»(٤٥).

أي: احفظوه فيهم بتعظيمهم وإكرامهم ووِدادهم وحبِّهم(٤٦).

وهل مسلمٌ يسمع مناشدة نبيِّه صلى الله عليه وآله وسلم: «**أذكِّرُكم اللهَ في أهل بيتي**». ثم لا يكون له حفاوة وموادة لأهل البيت النبوي؟

وهل مسلمٌ يسمع نداء نبيِّه صلى الله عليه وآله وسلم: «**مَن كنتُ مولاه، فعليٌّ مولاه**». ثم لا يكون له موالاة ونصرة لعليٍّ عليه السلام.

قال الإمام إسماعيل بن إسحاق القاضي: «قد خاب وخسر مَن لم يكن عليٌّ مولاه»(٤٧).

ج) حَفِظَ هذا الحديث مَن حضره من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، وضبطوه ورووه، فهذا زيد بن أرقم

رضي الله عنه حينما كبر سألوه أن يحدِّثهم عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، فاعتذر بأنه كبر ونسي كثيرًا، فصار يخشى أن يحدِّث بما لم يضبطه، وقال لمَن سأله الحديث عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: يا ابنَ أخي، والله لقد كبرت سنِّي، وقدم عهدي، ونسيتُ بعض الذي كنتُ أعي من رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، فما حدَّثتكم فاقبلوا، ومالا فلا تكلفونيه.

ولكن هذا التوقِّي وخوف النسيان لم يشمل هذه الواقعة، فقد انطلق زيدٌ رضي الله عنه يرويها، وكأنه يَرَى ما يَرْوِي، فذَكَر المكان وما فيه، ثم ذكر تفاصيل الحدث، ثم ذكر الخطبة، فاستوفى مقصدها، ولما قيل له: سمعتَه من رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم؟ قال: «ما كان في الدَّوْحات - أي دَوْحات غَدِير خُمٍّ- أحدٌ إِلَّا رآه بعينيه، وسمعه بأذنيه»[٤٨].

د) ورواه الصحابة رضي الله عنهم، وشهدوا به لعلي عليه السلام لمَّا استشهدهم؛ فقد جمع عليٌّ عليه السلام الناسَ برَحَبَة الكوفة في آخر حياته، ثم قال: أنشد بالله كلَّ امرئ مسلم سمعَ رسولَ الله صلى الله عليه وآله وسلم يقولُ يومَ غَدِير خُمٍّ ما سمعَ إلا قام. فقام ثلاثون من الناس، فشهدوا حين قال رسولُ الله صلى الله عليه وآله وسلم للناس: «**أتعلمونَ أني أولى بالمؤمنينَ من أنفسهم؟**». قالوا: نعم. قال: «**مَن كنتُ مولاه، فهذا مولاه، اللهمَّ والِ مَن والاه، وعادِ مَن عاداه**». كلهم يقول: إنه سمع النبيَّ صلى الله عليه وآله وسلم يقوله[٤٩].

وناشد عليه السلام وهو على منبر الكوفة مَن عنده من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: مَن سمعه من النبي صلى الله عليه وآله وسلم؟ فقال: إني مُنشدٌ اللهَ رجلًا، ولا أَنشُد إلا أصحابَ محمد صلى الله عليه وآله وسلم، مَن سمع رسولَ الله صلى الله عليه وآله وسلم يقولُ يوم غَدِير خُمٍّ: «**مَن كنتُ مولاه، فعليٌّ مولاه، اللهمَّ والِ مَن والاه، وعادِ مَن عاداه**». فقام ستةٌ من جانب المنبر وستةٌ من الجانب الآخر، فشهدوا أنهم سمعوا رسولَ الله صلى الله عليه وآله وسلم يقول ذلك(٥٠).

هـ) كثرة مَن رواه من الصحابة رضي الله عنهم عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم؛ فقد جاء من رواية علي بن أبي طالب، وبُريدة بن الحُصيب، وزيد بن أَرْقم، وسعد بن أبي وقَّاص، وطلحة بن عُبيد الله، وابن عباس، وأبي هريرة، وأنس بن مالك، وأبي سعيد الخُدْري، ومالك بن الحُويرث، وحُبشي بن جُنادة، وابن عمر، وجابر بن عبد الله، وأبي أيوب الأنصاري، والبراء بن عازب، وأسعد بن زُرارة، وحُذيفة بن أَسِيد الغِفاري، وعمار بن ياسر، ويعلى بن مرة، وغيرهم رضي الله عنهم(٥١).

ولذا عُدَّ حديث الولاية من المتواتر عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، فقد عدَّه من المتواتر غير واحد من العلماء، منهم: الذهبي في «سير أعلام النبلاء»، والسيوطي في «قطوف الأزهار المتناثرة في الأخبار المتواترة»، والكتَّاني في «نظم المتناثر»، والعجلوني في «كشف الخفاء»، والألباني في «السلسلة الصحيحة»، وغيرهم(٥٢).

وقال الحافظ ابن حجر: «كثير الطرق جدًّا، وكثير من أسانيدها صحاح وحسان»[٥٣].

وخصَّ بعض العلماء حديث الغَدِير بالتأليف، فتتبَّعوا طرقه ورواياته في كتب مفردة، كالإمام ابن جرير الطَّبَري، وابن عُقدة، والذهبي، وغيرهم[٥٤].

❍ ❍ ❍

مولى كلِّ مؤمن

الولاية بين المؤمنين هي الآصرة القوية، والرابطة الوثيقة، فكل مُؤمنٍ مولَى لكل المؤمنين: ﴿ وَٱلْمُؤْمِنُونَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍ ﴾ [التوبة: ٧١]، وهي موالاة تضامن ونصرة، وموادة ومحبة.

ولكن النبيَّ صلى الله عليه وآله وسلم خَصَّ عليًّا عليه السلام بالذكر في الولاية، مع أنها عامة بين كل المؤمنين، **ولهذا التخصيص دلالته العظيمة وحكمته البالغة:**

فالتخصيص يدل على تأكيد هذه الولاية وتوثيقها، ومعناه: مَن والاني ونصرني، فليوالِ عليًّا وينصره.

وهذه مزية عظيمة؛ فإن الولاية درجات، بعضها أعلى من بعض وأوثق، كما أن الصحبة درجات، أَلَا ترى أن القائل: «أبو بكر صاحب رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم»، لا يريد بهذا القول معنى صحبة سائر أصحابه له، لأنهم جميعًا صحابة، فأي فضيلة له إذًا في هذا القول، وإنما يريد أنه أخص الناس به.

والولاية بين الرسول صلى الله عليه وآله وسلم وأمته أوثق

من الولاية التي بين المؤمنين بعضهم مع بعض، فجعل النبيُّ صلى الله عليه وآله وسلم مثل هذه الدرجة العالية الوثيقة من الولاية لعلي عليه السلام، ولو لم يرد ذلك ما كان لعلي عليه السلام في هذا القول فضل، ولا كان في القول دليل على شيء، فإن المؤمنين بعامة بعضهم أولياء بعض، فصار في التخصيص مزية في مزيد توثيق الولاية وتأكيدها ورفع درجتها.

وفي تخصيص عليٍّ عليه السلام بالولاية- مع عمومها بين المؤمنين- تفضيل وتشريف له عليه السلام، كما في قوله تعالى: ﴿حَٰفِظُواْ عَلَى ٱلصَّلَوَٰتِ وَٱلصَّلَوٰةِ ٱلْوُسْطَىٰ﴾ [البقرة: ٢٣٨]، فخصَّ ﴿ٱلْوُسْطَىٰ﴾ بالذكر، وإن دخلت في جملة الصلوات؛ دلالة على فضلها، ففي التخصيص دلالة على التفضيل والتشريف.

وكما خص جبريل وميكائيل عليهما السلام في قوله تعالى: ﴿مَن كَانَ عَدُوًّا لِّلَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَرُسُلِهِۦ وَجِبْرِيلَ وَمِيكَىٰلَ﴾ [البقرة: ٩٨]، وهما من جملة الملائكة، وخُصَّا بأسمائهما بالذكر؛ لما في التخصيص من التفضيل والتشريف لمقامهما، فكذلك في تخصيص عليٍّ عليه السلام بالولاية تفضيل له وتشريف لمقامه، ورفع من شأن ولايته.

وإنما خصَّ عليًّا عليه السلام؛ لحسن سيرته، وصفاء سريرته، ورسوخ قدمه، وسابقته في الإسلام والجهاد، وقربه وقرباه من رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، فله في ذلك شرف الدنيا والآخرة.

وفي تخصيص عليٍّ عليه السلام بالولاية مع عمومها بين المؤمنين تزكية نبوية ممن لا ينطق عن الهوى، تُثبتُ إيمان عليٍّ عليه السلام في الباطن، والشهادة النبوية له بأنه يستحق الولاية ظاهرًا وباطنًا؛ فإن كل مَن أظهر الإيمان وجبت موالاته، ووُكلت سريرته إلى الله، ولكن تخصيص النبي صلى الله عليه وآله وسلم لعليٍّ عليه السلام باستحقاق الولاية إشهارٌ لإيمانه؛ ليعلم الناس أن ظاهر عليٍّ عليه السلام كباطنه، وأنه جدير بهذه الولاية حَقِيق بها، وفي ذلك فضيلة عظيمة لعلي عليه السلام.

ومثل ذلك قوله صلى الله عليه وآله وسلم فيه: «**يحبُّ اللهَ ورسولَه، ويحبُّه اللهُ ورسولُه**»(٥٥). فهي تزكية لحبِّ عليٍّ عليه السلام لله ورسوله، وأنه بلغ فيه الغاية صدقًا وإخلاصًا وتحقيقًا، ودليل ذلك أن يحبَّه اللهُ ورسولُه.

وهذه الولاية لعلي عليه السلام ساريةٌ عبر الزمن، ووصف ثابت لعلي عليه السلام في حياة النبي صلى الله عليه وآله وسلم وبعد مماته، وفي حياة عليٍّ عليه السلام وبعد مماته.

فعليٌّ عليه السلام اليوم مولانا بكل فخر، ومولى آبائنا وأبنائنا، ومولى كلِّ مؤمن ومؤمنة إلى قيام الساعة، لا يتخلَّى عن ولايته إلا مخذولٌ، ولا يبغضه إلا منافقٌ، ولا ينكر فضله مؤمنٌ، ولا يجهل سابقته وموضعه من رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ودين الله عالمٌ، وقد خاب وخسر مَن لم يكن عليٌّ مولاه(٥٦).

فعلَى سيِّدنا عليٍّ سلامُ الله وبركاتُه، ورضوانُ الله ومرضاتُه،

وعلى زوجته الزهراء سيدةِ نساء العلمين، وعلى ذريتهما ما تتابعت أجيالها، تحية من عند الله مباركة طيبة.

رحمة الله وبركاته عليكم أهل البيت إنه حميد مجيد.

اللهمَّ وعنا معهم بحبنا لهم فيك.

❍ ❍ ❍

رواية أخرى لحديث الغَدِير

للشيعة الإمامية رواية أخرى لحديث الغَدِير، وسياقهم لها يختلف بين مروياتهم اختصارًا وطولًا، وإجمالًا وتفصيلًا، حتى بلغت خطبة الغَدِير في كتاب «الاحتجاج» لأبي منصور أحمد بن علي الطبرسي إحدى عشرة صفحة(٥٧).

ولكن هذه الروايات تتواطأ على قضية الوصية لعلي عليه السلام بالإمامة، واستخلافه بعد رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، وأن الله أوحى إلى نبيه صلى الله عليه وآله وسلم بذلك، وأمره بالبلاغ، فخاف النبيُّ صلى الله عليه وآله وسلم نُفْرة الناس وعدم قبولهم لذلك، فأنزل الله عليه: ﴿**يَٰٓأَيُّهَا ٱلرَّسُولُ بَلِّغْ مَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ وَإِن لَّمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُۥ وَٱللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ ٱلنَّاسِ**﴾[المائدة: ٦٧]، فخطب النبيُّ صلى الله عليه وآله وسلم في غَدِير خُمٍّ، وأخذ بيد عليٍّ عليه السلام، وقال: «**إن عليَّ بنَ أبي طالب أخي ووصيي وخليفتي والإمام بعدي... اسمعوا وأطيعوا...**»(٥٨).

وأن الصحابة رضي الله عنهم الذين معه قد بايعوه كلهم على ذلك، بمَن فيهم أبو بكر وعمر وعثمان والمهاجرون والأنصار

وغيرهم، وأنه بهذه الوصية والعهد كمل الدين وأنزل الله: ﴿ٱلۡيَوۡمَ أَكۡمَلۡتُ لَكُمۡ دِينَكُمۡ وَأَتۡمَمۡتُ عَلَيۡكُمۡ نِعۡمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلۡإِسۡلَٰمَ دِينٗاۚ﴾ [المائدة: ٣].

وأن الصحابة الذين حضروا بيعة الغَدِير كانوا جمعًا غَفِيرًا، حتى قيل: إنهم سبعون ألفًا، وقيل أكثر من ذلك، وفيهم المهاجرون والأنصار، وآل رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، وأزواجه، والقبائل المحيطة بالمدينة.

وأن مآل هذا العهد والوصاة أن نُكث العهد وأُخلفت الوصاة يوم وفاته صلى الله عليه وآله وسلم، بعد أربعة وثمانين يومًا من البيعة، فاغتُصب حقُّ عليٍّ عليه السلام، وأُخلف عهدُ النبي صلى الله عليه وآله وسلم، ونُقض ميثاقُه، وتولَّى الخلافة قبل عليٍّ عليه السلام ثلاثةٌ من أصحاب النبي صلى الله عليه وآله وسلم الذين بايعوا عليًّا عليه السلام في الغَدِير، وأن عليًّا عليه السلام الذي أُخِذت له البيعة قد بايعهم كلَّهم، وصار وزيرًا لهم.

وأُلِّفت كتب مفردة كثيرة جدًّا عن قصة الغَدِير على هذا السياق، منها: «الغَدِير في الكتاب والسنة والأدب» لعبد الحسين أحمد الأميني النجفي، المتوفى عام (١٣٩٠هـ)، في عشر مجلدات، ولعله أوسع كتاب في الغَدِير على هذا السياق.

❍ ❍ ❍

تأملات في رواية الوصية

وإذا نظرنا إلى الرواية التي تصوِّر ما جرى في «غَدِير خُمٍّ» على أنه عهدٌ ووصاة بالإمامة لعلي عليه السلام، والخلافة بعد رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، وعلى أنه ميثاق على الأمة بالوفاء له، وتأكيد ذلك وتغليظه عليهم، وجعله دينًا وميثاقًا وعهدًا عليهم، وأنهم قد بايعوا عليًّا عليه السلام على ذلك بين يدي الرسول صلى الله عليه وآله وسلم.

ثم رأينا عاقبة ذلك بعد أربعةٍ وثمانين يومًا، نكثًا للعهد، ونقضًا للميثاق، وتبديلًا للوصية من كل مَن حضر وشهد وعاقد وعاهد؛ فإننا نقف وقفات تأمل يقودنا إليها تطلُّب الحق، وابتغاءُ إصابةِ عهد نبينا وحبيبنا صلى الله عليه وآله وسلم إذ أوصى، وإنفاذُ أمره إذ أمر، والوفاء بعهده إذ عَهِد، فنرى شواهد يدل عليها سياق الأحداث التاريخي، وبراهين ينتهي إليها التفكر العقلي، لا بد من تأملها والوقوف عندها؛ حتى نكون أوفياء للحب القلبي وللنظر العقلي، ونقترب ما أمكننا إلى الحقيقة التاريخية، كما وضح ذلك وشرحه العلَّامة ابن خلدون في فصل رائع في مقدمته الباهرة عن ضرورة إعمال العقل في رواية الخبر[٥٩]؛

فمن تلك الدلائل التي تستوقف المؤرِّخ، وتستلفت المفكِّر، فلا يمكن تجاهلها ولا تجاوزها ما يلي:

١ – هل يتصوَّر أن كل هذه الحشود المجتمعة مع النبي صلى الله عليه وآله وسلم، وهم من قبائل شتَّى ونواحٍ شتَّى يتفقون على كتمان هذا العهد ونكثه وعدم الوفاء به؟

إن كل سر جاوز الاثنين شاع، فكيف بمناشدة نبوية في خطبة عامة دُعي لها بنداء الفزع: «**الصلاةَ جامعةً**»، وشدَّد فيها النبيُّ صلى الله عليه وآله وسلم العهد والعقد، ثم يتفرق هؤلاء في نواحيهم وعشائرهم، فلا يفشو الخبر ويشتهر، ولا يظهر النَّكير ممن حضر وسمع وقد رأى خلافه؟

كيف لم نسمع أن أحدًا قام يعترض على ما جرى من استخلاف أبي بكر رضي الله عنه، ولا أن القبائل حول المدينة جاءت تعترض أو تستوضح أو تستغرب؟

كل ذلك يبيِّن أنه لم يكن هناك ما يدعو للاعتراض ولا الاستغراب!

٢– خطب النبيُّ صلى الله عليه وآله وسلم في حجة الوداع في عرفة، وخطب يوم النحر بمنى، وخطب اليوم الحادي عشر في منى على بغلته، وعليٌّ عليه السلام ممسك بها، وبَيَّن في خُطبه هذه معاقد الدين، وعصم الملة، وجوامع الشرع[٦٠]، ثم خطب خطبة «غَدِير خُمٍّ» بعد ذلك عندما قَرُب من المدينة وهو عائد إليها، ولحقت القبائل بديارها، وتفرَّق الناسُ عنه، فإن كل

مَن اجتمعوا إليه في الحج قد نفروا إلى ديارهم كلٌّ في وجهته، كما قال ابن عباس رضي الله عنهما: «كان الناس ينفرون من منى إلى وجوههم»(٦١). فبقي أهلُ مكة في مكة، وذهب أهلُ الطائف إلى الطائف، وأهلُ اليمن إلى اليمن، وأهلُ نجد إلى نجد، ولم يسر مع النبي صلى الله عليه وآله وسلم من مكة إلا أهلُ المدينة ومَن كانت منازلهم في طريقه.

فلو كانت الوصاة بخلافة عليٍّ عليه السلام بهذه المكانة في الدِّين، لقالها النبيُّ صلى الله عليه وآله وسلم في المشاهد العظيمة قبل ذلك، ولأكَّدها في خطبه الثلاث؛ خاصة أنه ودَّع فيها الناس، وقال: «**لعلِّي لا ألقاكم بعد عامي هذا**»(٦٢).

أو لأكَّدها وأعادها حينما عاد إلى المدينة؛ خاصة في مرض موته، وكان صلى الله عليه وآله وسلم يعلم أنه مقبوضٌ في وجعه ذلك، كما أخبر به فاطمةَ عليها السلام(٦٣).

وقد خرج إلى الناس في أول مرضه وعليه عصابة دَسْماء، فجلس على المنبر، وهيَّأ الصحابة لفراقه، وأوصى مَن ولي من أمته بالأنصار خيرًا، وأمر أن تُسَدَّ كلُّ خَوْخَةَ في المسجد إلا خَوْخَة أبي بكر، وكلُّ باب في المسجد إلا بابَ عليٍّ(٦٤).

فيالله أما كان أمر الخلافة من بعده أهم من خَوْخَة أبي بكر وباب عليٍّ، لو كان قد عهد بالخلافة أو أراد أن يعهد.

إن هذا المقام كان أولى المقامات بها لو كان.

ولماذا لم يذكرها النبيُّ صلى الله عليه وآله وسلم عندما خرج

في آخر صلاة صلَّاها بالناس، وقد وجد في نفسه خفة من وجعه، فخرج بين عليٍّ والعباس رضي الله عنهما، ورجلاه تخطَّان في الأرض، حتى أجلساه إلى جانب أبي بكر، فصلَّى بالناس جالسًا، ثم ردَّه عليٌّ والعباسُ رضي الله عنهما إلى بيته كما أتوا به(٦٥).

أليس هذا وقت العهد والوصاة تأسيسًا أو تأكيدًا، لو كان هناك عهد ووصاة، لا سيما وعليٌّ عليه السلام معه في حال قرب شديد، فهو الذي يعضده في مشيه ويسير به.

إن هذا يدل على أن وصاته بأهل بيته مقصود بها مَن يجالسونهم ويخالطونهم، وهم المهاجرون والأنصار والقبائل التي حول المدينة ممن بقوا معه أن يحبوهم ويكرموهم ويعرفوا لهم قدرهم، ويرقبوا رسولَ الله صلى الله عليه وآله وسلم فيهم، وليست وصاة بالخلافة ولا عهدًا بها.

٣- هل يمكن أن يعهد النبيُّ صلى الله عليه وآله وسلم بالخلافة من بعده لعلي عليه السلام، ثم يعهد لما مرض بالإمامة الصغرى لأبي بكر رضي الله عنه ليصلِّي بالناس أيام مرضه(٦٦)؟

إن الأحق بالإمامة في مسجد رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم والوقوف في مقامه الذي يؤم فيه الناس هو مَن عُهد إليه بالأمر من بعده، إن كان ثَمَّ عَهْدٌ وعَقْدٌ، فإذا قُدِّم غيره للصلاة، علم أن لا عهد ولا عقد لأحد، فلا يمكن أن يعهد إليه بالإمامة الكبرى ولا يعهد إليه بالإمامة الصغرى.

ولذا قال عليٌّ عليه السلام: «إن نبيَّكم صلى الله عليه وآله

وسلم نبيُّ الرحمة، لم يُقتل قتلًا، ولم يمت فجأة، مكث في مرضه أيامًا وليالي يأتيه المؤذِّنُ فيؤذنه بالصلاة، فيأمر أبا بكر رضي الله عنه فيصلِّي بالناس، وهو يرى مكاني، فلما قُبض رسولُ الله صلى الله عليه وآله وسلم نظرنا في أمورنا، فاخترنا لدنيانا مَن رضيه النبيُّ صلى الله عليه وآله وسلم لديننا»(٦٧).

٤- لما اجتمع الأنصار في السَّقِيفة كان اجتماعهم لاختيار خليفة منهم؛ لأنهم- كما يرون- أهل الدار، فالمدينة دارهم، وهم حكامها قبل هجرة النبي صلى الله عليه وآله وسلم إليها، فإذا تُوفِّي النبيُّ صلى الله عليه وآله وسلم فلترجع الإمرة لهم.

فهل كانوا سيتفاوضون في هذا الأمر، ويتوجهون هذا التوجه لو كان عندهم عهد من رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بالولاية لعليٍّ عليه السلام من بعده؟

وعندما جاءهم أبو بكر وعمر رضي الله عنهما طرح بعضهم حلًّا وسطًا في نظرهم، وقالوا: «منا أميرٌ، ومنكم أميرٌ»(٦٨).

فهل يمكن أن يُطرح هذا الاقتراح لو كان هناك وصاة نبوية شهدوها والتزموها بين يدي رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم؟

إن الذي نعتقده- ولا نظن بالأنصار غيره- أنه لو كان هناك عهدٌ لعليٍّ عليه السلام لما اجتمع الأنصار في سَقِيفة بني ساعدة، ولرأيتهم مجتمعين عند عليٍّ عليه السلام في المسجد يقولون له: نبايعك على ما عاهدنا عليه رسول الله يوم عاهدناه. فهم أهل الوفاء والصدق، فإذ لم يفعلوا ذلك علمنا أن لم يكن عهد ولا

وصاة.

٥- لقد كان سيِّدنا علي عليه السلام أقوى الناس قوة، وأشجعهم شجاعة، فيا ليت شعري، ما الذي كان يمنعه إذا كان النبيُّ صلى الله عليه وآله وسلم أوصى إليه، وعقد له، وعاهد الناس على ذلك أن يقوم بين ظهراني الناس، فيصرخ فيهم، ويناشدهم بعهدهم الذي عاهدوه، والوصاة التي أوصى بها إليهم رسولُ الله صلى الله عليه وآله وسلم، وأن يقاتل عن العهد النبوي والميثاق المحمدي، فينفذه أو يموت دونه، لو كان عهدٌ وميثاق؟!

هل تظن أنه يخشى الموت أو يحذر القتل؟ إنه الذي مشى للموت وتعرَّض له كلما تردَّد غيره أو عجز، نام في فراش النبي صلى الله عليه وآله وسلم ليلة الهجرة[٦٩]، وكانت كل لحظة تمر عليه فيه يمكن أن تهبره فيها سيوف المحاصرين.

وقام إلى الموت في بدر، فكان أول مبارز.

ومشى إلى الموت في أحد، فكان أول مَن قاتل وأسقط راية المشركين.

ومشى إلى الموت في الخندق، فكان هو الذي بارز عمرو ابن عبد وُدٍّ وقتله.

ومضى إلى الموت يوم خيبر، وهو ينشد:

أنا الذي سمَّتني أمِّي حَيْدَرَهْ(*) كلَيْثِ غاباتٍ كريهِ المَنْظَرَهْ

(*) اسم من أسماء الأسد.

أوفِيهُمُ بالصَّاع كيل السَّنْدَرَهْ (*)

فبارز مَرْحَبًا وقتله، وفتح الحصن الذي امتنع على غيره[٧٠].

وما كان عليٌّ عليه السلام يأسَى على شيء كما يأسَى أن يفوته قتالٌ مع رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وبين يديه، ولذا حزن أن يُخلِّفه النبيُّ صلى الله عليه وآله وسلم في المدينة في غزوة تبوك، وقال: يا رسولَ الله، تُخَلِّفُني في النساء والصبيان؟ فقال له رسولُ الله صلى الله عليه وآله وسلم: «**أما ترضى أن تكونَ منِّي بمنزلة هارونَ من موسى**»[٧١].

فهل تظن أن شعلة الشجاعة هذه تنطفئ في نفس علي عليه السلام فجأة، فيرى عقده يُنقض، ووصاة النبي صلى الله عليه وآله وسلم إليه تضاع، ثم لا يكون له موقف قوة وهو القوي، ولا لقاء شجاعة وهو الشجاع، حاشا أبا حسن أن يعجز عن حقٍّ أو يضيِّعه.

ولذا كان ابنه عبد الله بن الحسن بن الحسن بن علي يقول: «مَن هذا الذي يزعم أن عليًّا كان مقهورًا، وأن رسولَ الله صلى الله عليه وآله وسلم أمره بأمور لم ينفِّذها؟ فكفى بهذا إزراءً على عليٍّ ومنقصةً بأن يزعم قومٌ أن رسولَ الله صلى الله عليه وآله وسلم أمره بأمر فلم ينفِّذه»[٧٢].

وقال الشيخ علي الطنطاوي رحمه الله، وهو يتكلم عن بيعة عليٍّ لأبي بكر رضي الله عنهما: «كيف بايع عليٌّ أبا بكر؟ هل بايع

(*) معناه: أقتل الأعداء قتلًا واسعًا ذريعًا، والسندرة: مكيال واسع.

مختارًا أم مكرهًا؟

فإن قيل: إنه مُكرَه، فهذا غير صحيح؛ فإن عليًّا عليه السلام أعز من أن يكرهه أحد على ما لا يريد، بدليل أنه بقي ستة أشهر لم يبايع، فما عرض له أحدٌ.

وإن كان بايع باختياره، فهل بايع وهو يعلم أنه يبايع صالحًا للخلافة، أهلًا لها، وأنه بذلك يرضي الله، أم بايع ابتغاء دنيا؟

لقد كان عليٌّ عليه السلام أتقى لله من أن يبايع مَن لا يرى صلاحيته للخلافة واستحقاقه للبيعة». انتهى مختصرًا[٧٣].

٦- خالف بعضُ الصحابة رضي الله عنهم أبا بكر رضي الله عنه في حروب الرِّدَّة، ثم وافقوه[٧٤]، وخالف بعضُهم عمرَ رضي الله عنه في قسمة أراضي السَّواد[٧٥]، وخالف عليٌّ عثمان في التمتع بالحج[٧٦].

فإذا كانوا أعلنوا رأيهم وخلافهم في هذه المسائل، أفلا يمكن أن يخالفوه في أصل الأمر، وعندهم مستند للخلاف، وهو وصاة النبي صلى الله عليه وآله وسلم وعقده لعلي عليه السلام؟

بلى والله لو كان ثمة عقد ووصاة وميثاق لكانوا هم الأقوياء في إعلان رأيهم وقول كلمة الحق إذا اعتقدوها.

٧- في قبول علي عليه السلام أن يكون ضمن الستة أهل الشُّورى الذين رشَّحهم عمر رضي الله عنه ليختار المسلمون أحدَهم للخلافة بعد موته، وبقاء عبد الرحمن بن عوف رضي الله عنه ثلاثة أيام يستشير الناسَ ويخايرهم بين عليٍّ وعثمان رضي

الله عنهما[٧٧]؛ دلالةٌ على أن لم يكن عهدٌ ولا وصاة، فلو كان عند علي عليه السلام عهد لأظهره وأشهره وذكَّر الناسَ به.

ولو كان الرسول صلى الله عليه وآله وسلم أوصى لعلي عليه السلام، لقال الناسُ لعبد الرحمن بن عوف رضي الله عنه: كيف تستشيرنا فيمَن أوصى إليه النبيُّ واستشهد له وعاقد.

٨- جاء وصف الصحابة رضي الله عنهم في القرآن في آيات عظيمة تصف حالهم، وتذكر مناقبهم، وتحمل لكل الأجيال تزكية الله لهم، وهل أعظم من تزكية الله لأهل بيعة الرضوان: ﴿لَّقَدْ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنِ ٱلْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ ٱلشَّجَرَةِ فَعَلِمَ مَا فِى قُلُوبِهِمْ فَأَنزَلَ ٱلسَّكِينَةَ عَلَيْهِمْ وَأَثَٰبَهُمْ فَتْحًا قَرِيبًا﴾ [الفتح: ١٨].

إن الله لم يزكِّ أعمالهم وأقوالهم، بل زكَّى ما لا يطَّلع عليه إلا هو عز وجل، ولا يعلمه إلا الذي يعلم ما تُخفي الصدور، ويعلم السر وأخفى، فزكَّى ما في قلوبهم: ﴿فَعَلِمَ مَا فِى قُلُوبِهِمْ فَأَنزَلَ ٱلسَّكِينَةَ عَلَيْهِمْ﴾ [الفتح: ١٨]، وزكَّى الأنصار الذين تبوَّءُوا الدار والإيمان، فقال: ﴿وَٱلَّذِينَ تَبَوَّءُو ٱلدَّارَ وَٱلْإِيمَٰنَ مِن قَبْلِهِمْ يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ وَلَا يَجِدُونَ فِى صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِّمَّآ أُوتُوا۟ وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِۦ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ﴾ [الحشر: ٩]، في آيات كثيرة.

فأين هؤلاء الصحابة الذين زكَّاهم الله وأثنى عليهم قَلُّوا أم كثروا؟ أين هم من عهد النبي صلى الله عليه وآله وسلم وميثاقه وما عاقد عليه، هل يمكن أن يوجد مع النبي صلى الله عليه وآله

وسلم أناسٌ بهذا الوصف الذي وصفه الله، ثم لا يكون لهم حماية لعهده ووفاء بعقده.

وما أحسن ما قيل: لقد وصف الله الصحابة في القرآن وأثنى عليهم في كتابه، فإن كانوا موجودين واقعًا فمَن هم؟ وإن لم يكونوا موجودين واقعًا، فهذا لغو ينزَّه عنه كلام الله.

٩- عندما أوصى أبو بكر لعمر بن الخطاب رضي الله عنهما بالخلافة كان ذلك في مرض موته في كتاب أملاه وهو في غمرات الموت، يعهد فيه بالأمر من بعده لعمر بن الخطاب، بعد أن استشار فيه كبار الصحابة، فلما تُوفِّي قُرئ الكتاب على الناس، فوافقوا كلُّهم، والتزموا كلُّهم، ولم يختلف على عمر اثنان(٧٨).

فهل يعقل أن يفي الناسُ لأبي بكر رضي الله عنه بعهد لم يُقرأ عليهم إلا بعد موته، ولا يفون لرسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بعهد عاهدهم وعاقدهم عليه في حياته واستوثقهم واستشهدهم؟

إن كل شرفٍ ناله أبو بكر رضي الله عنه فسببه إيمانه بمحمد صلى الله عليه وآله وسلم، وصحبته وصدق الولاء له، فهل يكون الوفاء لصاحب الرسول أعظم من الوفاء للرسول صلى الله عليه وآله وسلم؟!

١٠- لو كان العهد من رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم لعليٍّ عليه السلام وأخلفته ونافسته بطون أخرى من قريش، فإن

في المدينة طرفًا محايدًا بين بطون قريش؛ لأنه ليس منهم وهم الأنصار، فالأنصار بايعوا رسولَ الله صلى الله عليه وآله وسلم على نصرته وحمايته، ووقفوا معه والعرب كلها ترميهم عن قوس واحدة، وصُرعوا بين يديه في المعارك نصرة له، وزكّاهم الله في كتابه فقال: ﴿وَٱلَّذِينَ تَبَوَّءُو ٱلدَّارَ وَٱلْإِيمَـٰنَ مِن قَبْلِهِمْ يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ وَلَا يَجِدُونَ فِى صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِّمَّآ أُوتُوا۟ وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ ۚ وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِۦ فَأُو۟لَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ﴾ [الحشر: ٩]، فهل يمكن أن يخلفوا عهده ووصاته من بعده، ويبايعوا مَن لم يعهد إليه؟

إنهم قد وفوا له بالعهد الأول يوم هاجر إليهم أن يمنعوه مما يمنعون منه أُزرهم(٧٩)، فكانوا أهل صدق ووفاء، حتى أظهر اللهُ بهم دينه، فهل يتصوَّر أن يتخلَّوْا عن عهده وميثاقه ويميلوا عن وصاته إلى رجل غير مَن عهد إليه، وهم في المدينة في دارهم، وهم الكثرة من أهلها، فليسوا قلة ولا ضعفة حتى يُغلبوا على ما لم يريدوه ويقتنعوا به.

ثم إن عليًّا عليه السلام أولى بالأنصار، وهم إليه أقرب من غيره، فهم أخواله أخوالُ جدِّه عبد المطَّلب، ولقد ذهب آباؤهم في الجاهلية من المدينة إلى مكة لنصرة عبد المطَّلب لما غالبه عمه نوفل على ساحاته وأفنيته، وأخذها منه، فاستعان بأخواله الخزرج، فجاؤوا من المدينة حتى نزلوا الأَبْطح، واسترجعوا له حقَّه.

وفي ذلك يقول الشاعر شمر بن عويمر الكناني[٨٠]:

لعَمْرِي لأَخْوال الأغرِّ ابنِ هاشمٍ ... من اعمامه الأدنين أحنى وأوصلُ
أجابوا على نأيٍ دعاءَ ابن أختهم ... وقد ناله بالظلم والغدر نوفلُ
فما برحوا حتى تدارك حقه ... ورد عليه بعد ما كاد يُؤْكلُ
جزى الله خيرًا عُصبة خَزْرجية ... توافوا على برٍّ وذو البر أفضلُ

فهم الآن بعد الإسلام أحرى أن ينصروا ابنه عليًّا، وهو ابن أختهم، و«**ابنُ أخت القوم منهم**»[٨١]، وما كانوا ليسلموا حقَّ عليٍّ لأبي بكر ولا لغيره، لو اعتقدوا أن له حقًّا يُؤخذ له ويُنصر عليه.

١١- بايع الناسُ أبا بكر الصِّدِّيق رضي الله عنه، واشتهر أمر سعد بن عُبادة رضي الله عنه، وأنه لم يبايع، وقد ورد أن أبا بكر رضي الله عنه أرسل إليه: «أقبل فبايع؛ فقد بايع الناسُ، وبايع قومُك». فقال: لا والله لا أبايع. فقال بَشِير بن سعد رضي الله عنه: يا خليفةَ رسول الله، إنه قد أَبَى ولَجَّ، فلا تحركوه، وقد استقام لكم الأمر، وإنما هو رجلٌ وحده ما تُرِك. فقبل أبو بكر نصيحته وتركه، وبقي في المدينة سيِّدًا شريفًا كريمًا عزيزًا في قومه. ولما تُوفِّي أبو بكر رضي الله عنه ووليَ عمرُ رضي الله عنه لم يبايعه سعدٌ رضي الله عنه، ولما لقي عمرُ سعدًا قال له سعدٌ رضي الله عنه: قد أفضى إليك هذا الأمر، وكان والله صاحبُك أحبَّ إلينا منك[٨٢].

ومع ذلك بقي سعدٌ رضي الله عنه هو سيِّد الخزرج وكريمهم، لم يعرض أحدٌ لمكانته وسيادته وشأنه في قومه، مع أنه لم يبايع الخليفتين في وقته.

وهنا ننظر لموقف سعد رضي الله عنه من ناحيتين:

أولاهما: أن سعدًا رضي الله عنه لم يبايع، ولكنه لم يعارض بأن البيعة إنما هي لعليٍّ عليه السلام، ولو كان ذلك لأعلنه ولتابعه الأنصارُ كلهم، ولكنه لم يبايع؛ لما كان يرى لنفسه ولقومه من المكانة، وأحقيتهم بأن يكون لهم شراكة في الأمر، وكان سعدٌ رضي الله عنه سيِّدًا عزيز النفس، فلم يطب نفسًا بأن يبايع.

الثانية: إذا كان سعدٌ رضي الله عنه قد استعلن بعدم البيعة، فهل نظن بعلي عليه السلام أن يكون معه عهدُ النبي صلى الله عليه وآله وسلم وميثاقُه ثم يعجز عن مثل ما فعله سعدٌ رضي الله عنه؟

وإذا كان أبو بكر وعمر رضي الله عنهما لم يعرضا لسعد رضي الله عنه حين لم يبايع، فهل كانا يعرضان لعلي لو لم يبايع؟ وقد كان أبو الحسن أعلى قدرًا ومكانة، وأعظم جرأة وشجاعة من سعد لو رأى رأيه، فكيف لو كان عنده عهدٌ من رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وعقد وميثاق؟!

١٢- لم يكن الصِّدِّيق رضي الله عنه من بطن من بطون قريش ذي قوة وشوكة ونفوذ، وإنما كان من بني تَيْم الذين ليس لهم من سيادة قريش شيء، فليس لهم الرِّفادة، ولا السِّقاية، ولا الحِجابة، ولا الراية، ولا الندوة، ولا قبة السلاح، ولا أعنَّة الخيل ونحوها من مآثر قريش(٨٣).

فلو كان الصِّدِّيق الذي استُخلف من بطنٍ من بطون قريش

التي كانت تنافس على الرئاسة والشرف، كبني مخزوم وبني عبد الدار، لقلنا: نَفِس على بني هاشم واستقوى برهطه وعشيرته، كما نَفِس أبو جهل عمرو بن هشام المخزومي على النبي صلى الله عليه وآله وسلم النبوة وحسده عليها؛ لأنه من بني عبد مناف، ولا تريد بنو مخزوم أن تسلِّم لهم الشرف، أما أبو بكر فليس له قوة عشائرية يتقوَّى بها، وإنما كانت قوته شورى المسلمين واختيارهم وبيعتهم عن رضى واختيار وطيب نفس.

وكذاك عمر رضي الله عنه لم يكن من بطن من بطون قريش الكبيرة العديدة، ولذا عندما أراد النبيُّ صلى الله عليه وآله وسلم أن يرسله إلى قريش أيام الحديبية، استعفى وقال: «يا رسولَ الله، إن مكة ليس بها من بني عدي أحدٌ يمنعني»[٨٤].

فلم يكن الخليفتان رضي الله عنهما من البطون المنافسة لبني هاشم، فيقال: اغتصبا الحق نَفَاسةً، ولا من البطون العديدة القوية، فيقال: اغتصبا الحق مغالبةً، وإنما كانت شورى المسلمين واختيارهم ورضاهم هي التي ساقت إليهم عقد المسلمين وبيعتهم.

١٣- لما كان يوم الأحزاب لقي المسلمون مع رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم شدةً، ما مر بهم شدةٌ أشدَّ منها، فقد اجتمعت عليهم شدائد البرد والجوع والخوف والجهد، ووصف الله حالهم بقوله: ﴿**إِذْ جَآءُوكُم مِّن فَوْقِكُمْ وَمِنْ أَسْفَلَ مِنكُمْ وَإِذْ زَاغَتِ ٱلْأَبْصَـٰرُ وَبَلَغَتِ ٱلْقُلُوبُ ٱلْحَنَاجِرَ وَتَظُنُّونَ**

بِٱللَّهِ ٱلظُّنُونَا۠ ﴿١٠﴾ هُنَالِكَ ٱبْتُلِيَ ٱلْمُؤْمِنُونَ وَزُلْزِلُوا۟ زِلْزَالًا شَدِيدًا ﴿١١﴾﴾ [الأحزاب:١٠- ١١]، ولم يصف الله شدةً من شدائد الدنيا بما يشبه شدائد الآخرة إلا في هذه الآية، فإنه كوصف الآخرة، حيث يقول تعالى: ﴿ وَأَنذِرْهُمْ يَوْمَ ٱلْـَٔازِفَةِ إِذِ ٱلْقُلُوبُ لَدَى ٱلْحَنَاجِرِ كَـٰظِمِينَ ﴾(٨٥) [غافر: ١٨].

ولك أن تتخيَّل الصحابة رضي الله عنهم مع رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أيام الحصار جوعى، فالطعام قليل، عُراة الأبدان والبرد شديد، مجهودين من حفر الخندق والتحفُّز للقتال، في حال خوف لكثرة العدو الذي يقابلهم، ويتحفَّز لهم من أمامهم، واليهود الذين غدروا أن يأتوا من خلفهم، وهم في قلة وجهد، والمنافقون يرجفون بينهم، وقد نجم نفاقهم: ﴿مَّا وَعَدَنَا ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥٓ إِلَّا غُرُورًا ﴾ [الأحزاب: ١٢].

يا لها من معاناة شديدة تخور فيها أصلب العزائم وتتضعضع أقوى القلوب.

وقد كان يغني المهاجرين مع رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم لو شَكُّوا أو ارتابوا أن يتخلَّوْا عن رسول الله في ساعة الشدة هذه، فيقفزوا الخندق، ويلحقوا بعشائرهم من المشركين، فيلحق أبو بكر ببني تَيْم من قريش، ويلحق عمر ببني عدي، ويلحق عثمان بابن عمه أبي سفيان قائد المشركين، ويقولون لهم: كنا مع محمد، وقد تركناه ولحقنا بكم، ولو فعلوا ذلك للَقَوُا من قومهم وعشائرهم الإكرام والحفاوة، ولأعادوهم وأعادوا لهم

كل ما سلبوا من أموالهم.

ولكن كان أهون على أحدهم أن يحترق حتى يكون فحمًا من أن تسنح هذه الفكرة بخاطره، فضلًا عن أن تكون همًّا أو عزمًا، وإنما كان هتافهم في هذه الشدة ما حكاه الله عنهم وخَلَّد ذكره: ﴿ هَٰذَا مَا وَعَدَنَا ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ وَصَدَقَ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ ۚ وَمَا زَادَهُمْ إِلَّآ إِيمَٰنًا وَتَسْلِيمًا ﴾ [الأحزاب: ٢٢].

فهل نظن بهؤلاء الذين ثبتوا مع النبي صلى الله عليه وآله وسلم في هذه الشدة، ووفوا له في هذه العُسرة، أنهم ينكثون عهده، وينقضون عقده إذا مات؟

١٤- لما كان يوم أحد وهُزم المسلمون، وشاع الخبر أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قد قُتل، نزل الغم على المسلمين، وتفرَّقوا في الشِّعْب والجبل، وفرَّ فريق منهم من ميدان المعركة، وكان ممن فرَّ عثمان بن عفان رضي الله عنه[٨٦]، فإلى أين فروا؟ لقد كان فرارهم إلى المدينة؛ ليلحقوا بمَن بقي بها من المسلمين، وليثوبوا إلى بقية رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فيها مسجدُه وبيتُه ومصلَّاه.

وكان بإمكان عثمان رضي الله عنه أن يلحق بالمشركين؛ فإن قائدهم ابن عمه أبو سفيان، ولو لحق به للقي الإكرام والحفاوة، وكذا غيره من المهاجرين، فلكل منهم رهط مع المشركين سيحمونه لو لحق بهم، ولكن هذا لم يكن ليسنح بخاطر أحدهم فكرةً ولا همًّا، حتى مع ظنهم أن الرسول قد قُتل، فقد بَقِيَ دينُه،

وبَقُوا هم مستمسكين به.

ولذا تنزَّل القرآن يذكر فرارهم، ويعقبه بالبُشرى لهم بعفو الله عنهم: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ تَوَلَّوۡاْ مِنكُمۡ يَوۡمَ ٱلۡتَقَى ٱلۡجَمۡعَانِ إِنَّمَا ٱسۡتَزَلَّهُمُ ٱلشَّيۡطَٰنُ بِبَعۡضِ مَا كَسَبُواْۖ وَلَقَدۡ عَفَا ٱللَّهُ عَنۡهُمۡۗ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ حَلِيمٞ﴾ [آل عمران: ١٥٥]، لقد فرُّوا من المعركة، ولكنهم لم يرتدُّوا عن الدِّين في هذه اللحظة الحرجة المزلزلة.

أفيظن أحدٌ أن هؤلاء يمكن أن يتخلَّوْا عن دين رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وعهده بعد موته؟ وهم الذين ثبتوا على دينه وقد شاع فيهم خبر قتله وهزيمةِ جيشه، وما صدَّهم ذلك عن استمساكهم بالدِّين، ولا هموا بالتخلِّي عن الرسالة، وإن فقدوا الرسول، حتى وهم في حال فرار عن المعركة وتولٍّ عن ميدانها.

إن مَن استمسكوا بدينهم في هذ الموقف لا يمكن أن يتخلَّوْا عنه في موقف بعده أبدًا.

١٥ – عندما حُوصر عثمان رضي الله عنه ناشد الناسَ بسابقته في الإسلام، وما قاله الرسول صلى الله عليه وآله وسلم له، فقال: «أذكِّرُكم بالله، هل تعلمونَ أن رسولَ الله صلى الله عليه وآله وسلم قال في جيش العُسْرة: «**مَن ينفق نفقةً متقبلةً**». والناسُ مجهدون معسرون، فجهَّزتُ ذلك الجيش؟ قالوا: نعم. ثم قال: أذكِّرُكم بالله، هل تعلمون أن بئر رُومة لم يكن يشربُ منها أحدٌ إلا بثمن، فابتعتُها، فجعلتُها للغني والفقير وابن السبيل؟ قالوا: اللهمَّ نعم. وأشياء عدَّدها[٨٧].

فكيف يناشد عثمان رضي الله عنه على حفر بئر رُومة، ولا يناشد عليٌّ عليه السلام الناسَ على عهد رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم إليه بالخلافة من بعده بمشهد الناس كلهم؟

١٦- مشاهد الصحابة رضي الله عنهم في إيثار الحق مبهرة، **ومن ذلك**: مشهد أبي حُذيفة بن عُتبة بن رَبِيعة الذي شهد بدرًا، ورأى أباه وعمه وأخاه يقتلون بأسياف المسلمين، ثم رأى أباه يُجَرُّ إلى قَلِيب بدر فيُرمى فيها، إن هذا مشهد يمكن أن تفتتن فيه أقوى القلوب وأصلبها، ولكن صلابة الصحابة في الاستمساك بالحق كانت أقوى من ذلك، ولذا وقف متغيِّر الوجه وهو يرى أباه يُجَرُّ إلى قَلِيب بدر، فيقول له الرسولُ صلى الله عليه وآله وسلم: «**يا أبا حُذيفةَ، كأنك ساءَك ما أصابَ أباك؟**». قال: يا رسولَ الله، ما لي أن لا أكون مؤمنًا بالله وبرسوله، ولكن لم يكن في القوم أحدٌ يشبه عُتبة في عقله وفي شرفه، فكنتُ أرجو أن يهديه الله عز وجل إلى الإسلام، فلما رأيتُ مصرعه ساءني ذلك[٨٨].

فهل يتصوَّر أن هؤلاء الذين هذا استمساكهم بالحق بحيث آثروا الحق الذي استمسكوا به على آبائهم وأقرب الناس إليهم يمكن أن يتخلوا عن حقٍّ قضاه النبي صلى الله عليه وآله وسلم وعقدٍ عقده واستوصاهم به من أجل أبي بكر أو غيره؟

لا والله لو كان ثمة عقد ووصاة وميثاق لما تخلوا عن الصدع بالحق، وقد كانوا أصدق الناس في إيثار الحق وأشجع الناس في الصدع به.

١٧- عندما تُوفِّي النبيُّ صلى الله عليه وآله وسلم ارتد المرتدُّون، وقاتلوا أبا بكر رضي الله عنه[٨٩]، وكان من أسباب قتالهم الاعتراض على الزكاة، أو على ولاية أبي بكر رضي الله عنه، وإراداتهم أن تكون الولاية فيهم، كما قال قائلهم[٩٠]:

أطعنا رسولَ الله ما كان بيننا   فيا لعباد الله ما لأبي بكر!

ولكن لم يرفع أحدٌ في وجه أبي بكر رضي الله عنه راية تقول: لدينا عهدٌ من رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بولاية عليٍّ عليه السلام، سوف نقاتلك عليها. فلو كان هناك عهدٌ لعليٍّ عليه السلام، لكان هذا أقوى حجة يحتجون بها على قتال أبي بكر، ومسوّغًا للتمرد على بيعته.

١٨- قاتل بنو حَنِيفة مع مُسَيْلمة عصبية له، مع علمهم أنه كذَّاب، وقاتل بنو أسد مع طُليحة الأسدي، وقاتل بنو تَمِيم مع سَجَاح، وكلهم مدَّعون كذبة، فهل يُعقل أن يكون مع علي عليه السلام حقٌّ ثم لا يجد مَن يقوم معه ويناصره ويقاتل عنه، وهو الأبر الأطهر؟!

١٩- رصد الصحابة رضي الله عنهم تفاصيل حياة النبي صلى الله عليه وآله وسلم بدقة مبهرة، فهذا المكان الذي نزله، وهذا الطريق الذي سار فيه، وتلك السارية التي صلَّى إليها، كما وصفوا كلامه وهيئته في قيامه وجلوسه ومشيه ونومه، بل حتى نَفْخه في النوم، وحركة لحيته في الصلاة، وحفظوا أقواله ورووها، بحيث إن ما صحَّ عن نبينا صلى الله عليه وآله وسلم هو أضخم تراث مروي عن نبي، فهل يعقل بعد ذلك أن يَعْهد النبي

صلى الله عليه وآله وسلم هذا العهد، ويعقد هذا العقد، ثم يَخْفَى أو يُخْفَى، ولا يَظهر ولا يُشهَر؟

٢٠- كان الصحابة جموعًا من قبائل متنوعة، وعشائر وأحلاف متعدِّدة، لم يكن يجمعهم ويقرِّب بعضهم لبعض إلا الدِّين وحب النبي صلى الله عليه وآله وسلم، فلو فُرض أن فريقًا منهم مالأ أو كتم، فأين البقية منهم التي لا يمكن أن تنصاع إلا للحق، ولئن غدرت قبيلة فأين بقية القبائل، ولئن مالأت بلدة فأين بقية البلاد؟

٢١- أهل الصُّفَّة كانوا مهاجرين إلى الله ورسوله، تركوا ديارهم وعشائرهم، وتحملوا في سبيل هذه الهجرة شَظَف العيش، وعُري الأجساد، وجوع البطون، لا لشيء إلا ليتبعوا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، وليسمعوا منه دعوته وهداه، فمَن الذي يستطيع أن يغريهم بعد ذلك أن يكتموا عهدًا وعقدًا عقده رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وأَشْهَدَ عليه؟

٢٢- لم تأت الخلافة إلى عليٍّ عليه السلام فتجده ذاك المتشوِّف لها المنتظر لموعدها، ولكن أتته، فلم يهش لها ولم يفرح بها، وقال: «دعوني، والتمسوا غيري»[٩١].

فكيف لم يقل: نعم هذا عهد رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وميثاقه عليكم؟ ولماذا لم يقولوا له عندما اعتذر: أنت الوصي بعهد رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، ولن نعدوك إلى غيرك فهذا عهد نبينا ووصاته إلينا؟

٢٣- خرج ابن الزُّبير رضي الله عنهما على يزيد، واجتمع إليه الناسُ، واعتصم بالبيت، وقاتل حتى قُتل(٩٢)، وليس لديه عهدٌ ولا وصاة.

أفلم يكن الإمام علي عليه السلام يقدر على ما قدر عليه ابن عمته عبد الله بن الزُّبير، أو ما كان الحسن يقدر على ما قدر عليه ابن عمته، وهو الذي شهد الوصاة وسمع العهد؟!

٢٤- تخيل حال هؤلاء الذين يُوصفون بالغدر بعهد هذا النبي صلى الله عليه وآله وسلم وميثاقه أنهم هُمْ أولئك الذين أسلموا واتَّبعوا النبيَّ صلى الله عليه وآله وسلم يوم كان وحيدًا بدعوته في مكة، وكانوا على قلتهم مع النبي صلى الله عليه وآله وسلم في صَفٍّ والدنيا كلها أمامهم في صَفٍّ، ولم يشعروا أنهم في حيرة في خيارهم وإنما كان خيارهم محسومًا تمامًا بيقينٍ، ونصاعةٍ في الرؤية، فهم مع الله ورسوله، ولو خسروا الدنيا كلَّها، ولذا كان تقديمهم التضحيات تباعًا منطلقًا من قوة إيمان، ورسوخ يقين بأن هذا الذي آمنوا به وصدَّقوه واتَّبعوه هو رسول الله حقًّا وصدقًا، وأن الطريق الذي سلكوه معه منتهاه جنة الآخرة، ولو فقدوا في طريقهم إليه نعيم الدنيا كلَّه.

فهل نظن أن هؤلاء بعد ذلك يغيِّرون إيمانهم وقناعاتهم، فينقضون عهدَ النبي صلى الله عليه وآله وسلم وميثاقه من أجل عَرَض من الدنيا قليلٍ زائل؟

هؤلاء الذين كان يقينهم بصدق ما يقول الرسول صلى

الله عليه وآله وسلم أعظم من يقينهم بما تراه أعينهم، وتدركه حواسهم، يقال لهم: إن محمدًا زعم أنه ذهب لبيت المقدس ليلًا وعاد في ليلته؟ فيقولون بيقين: «إن كان قال فقد صدق»(٩٣).

فهل يمكن بعد ذلك أن يعقد عقدًا ويعهد عهدًا ثم ينكثوه ويُخْفِرُوه، وهم الذين أعرضوا عن الدنيا كلها إيمانًا به وتصديقًا بموعوده؟

ثم انظر إلى جهادهم بعد وفاة النبي صلى الله عليه وآله وسلم، خصوصًا في مواجهة الرِّدَّة، وقمع دعاوى النبوة، لقد كانوا يَرِدُون الموت عطاشًا، ويرون أنهم يستتمُّون بجهادهم ذلك جِهادَهم مع رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم؛ ففي حربهم مع مسيلمة الكذَّاب لبسوا أكفانهم، وطَلَوْا أجسادهم بحنوط الموت، وتقدَّموا إلى الشهادة ليموتوا ويبقى دين رسول الله ورسالته، حتى اسْتَحَرَّ القتل في خيارهم، وكان أكثر الشهداء هم حفظة القرآن؛ فهل نظن أن حملة القرآن الذين استشهدوا في تلك الحروب كانوا يتدافعون إلى الموت وهم يعتقدون أنهم يقاتلون تحت راية خليفةٍ غَصَبَ الحقَّ ونَكَثَ العهدَ وأخلف الوصاةَ ؟!

٢٥- تخيل حال السابقين للإسلام مع رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم عندما أسلموا فتعرَّضوا لما تعرَّضوا له من أذى وبلاء في ذات الله، ثم هاجروا عن بلادهم وخسروا أموالهم، وذهبوا مع رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم في هجرة إلى بلد غير بلدهم، ليس لهم فيها دار ولا مال، وكانت هجرة إلى

المجهول، لولا اليقين بما عند الله ورسوله، والثقة بموعود الله ورسوله، فهل يظن أحدٌ أنهم كانوا بذلك كله يرقبون مطامع دنيوية؟

يا لله لقد تَخَلَّوْا عن الدنيا من أجل الله ورسوله، فهل يعقل أنهم في آخر أعمارهم، وبعد أن ساروا مع المصطفى صلى الله عليه وآله وسلم هذا المسير، ورأوه بأم أعينهم، والوحي يتنزَّل عليه، والمعجزات المبهرة تنطق بين يديه أن يتخلوا عن الله ورسوله من أجل طمع دنيوي؟

٢٦- هذا عمار بن ياسر رضي الله عنه الذي اتَّبع النبيَّ صلى الله عليه وآله وسلم هو وأبوه وأمه في طلائع البعثة النبوية، ووقفوا بصبر وثبات- وهم الأرقَّاء المستضعفون- أمام كل الجبابرة المتكبِّرين من ملإ قريش، يُعَذَّبون في رَمْضاء مكة، ويُفتنون عن دينهم، فإذا جبال مكة تتضعضع ولا يتضعضعون، فيموت ياسر رضي الله عنه تحت العذاب، وتستشهد سُمَيَّة رضي الله عنها لتكون أول شهيدٍ في الإسلام، ولا يعدهم النبيُّ صلى الله عليه وآله وسلم بشيء من متع الدنيا، إلا بذاك النعيم الذي امتلأت قلوبهم يقينًا به: «**صبرًا آل ياسر؛ فإن موعدَكم الجنةُ**»[٩٤].

ثم يعيش عمار بن ياسر رضي الله عنهما بعد ذلك، ويهاجر مع النبي صلى الله عليه وآله وسلم، فيبشِّره النبيُّ صلى الله عليه وآله وسلم بأنه الثابت على الحقِّ في وجه الفتن، وأنه شهيد البغي: «**وَيْحَ عمار، تقتلُه الفئةُ الباغيةُ**»[٩٥].

وعندما بُويع عليٌّ عليه السلام بالخلافة كان معه، وعندما قاتل قاتل معه على كبر سنه، فقد كان قريب الرابعة والتسعين من العمر، وكانت الحربةُ ترْعُدُ في يده إذا أمسكها من الكِبَر، وكان يقول وهو يقاتل مع علي عليه السلام: والذي نفسي بيده، لقد قاتلتُ بهذه الراية مع رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ثلاث مرات، وهذه الرابعة، والذي نفسي بيده، لو ضربونا حتى يبلغوا بنا سَعَفَات هَجَر(*)، لعرفتُ أن مصلحينا على الحق، وأنهم على الضلالة(٩٦).

فهل نتصور أن هذا الذي عنده هذا اليقين، وهذا الحب لأمير المؤمنين عليٍّ عليه السلام يمكن أن يبايع أو يتابع أحدًا دون عليٍّ عليه السلام، وقد سمع عهدَ النبي صلى الله عليه وآله وسلم إليه، وواثقه على ذلك العهد، لو كان رأى وشهد وسمع ذلك العهد والمعاقدة؟!

هل كان عمارٌ رضي الله عنه أقل من أن يقول لأبي بكر ولعمر ولعثمان رضي الله عنهم: إنكم تولَّيتم ولاية ليست لكم ونقضتم عهدنا وميثاقنا مع رسول الله، لو كان ثمة عهد وميثاق؟

ما الذي يخافه عمارٌ رضي الله عنه، وهو الذي عُذِّب ووالداه في سبيل الله حتى مات والداه تحت العذاب؟!

ما الذي يخافه عمارٌ رضي الله عنه وهو الذي تقحَّم الموت

(*) **سَعَفات** جمع: سَعَفَة، وهي: أغصان النخيل، **والمقصود**: نخيل هَجَر بالأَحْساء، وهي مسافة بعيدة جدًّا عن جنوب العراق حيث كان عمار رضي الله عنه يقول هذا الكلام، فذكرها مبالغة في مسافة البُعد.

على كبر سنه وضعف قوته؛ وفاءً لعلي عليه السلام إذ بايعه، أو لا يقتحم ما هو أشد وفاء لبيعة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وعقده وعهده، لو كان ثمة بيعة وعهد وعقد لعلي عليه السلام؟

٢٧- لقد كان الحسن بن علي عليه وعلى والديه السلام مميِّزًا مدركًا مشهد غَدير خُمٍّ مع والديه؛ فقد حجَّ أبوه وأمه مع رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، ولا أحسبُ إلا أنه كان قريبًا من أبيه حال خطبة النبي صلى الله عليه وآله وسلم في الغَدِير، وأنه رأى أباه ويدُه في يدِ النبيِّ صلى الله عليه وآله وسلم، وأنه سمع ما قاله النبيُّ صلى الله عليه وآله وسلم ووعاه، فقد كان يومها في الثامنة من عمره، ثم صارت إليه الخلافة، واستمكنت في يده ستة أشهر، ثم نزل عن حقِّه في الخلافة- وهو الأحق بها- لمعاوية بن أبي سفيان؛ إصلاحًا بين المسلمين، وحفظًا لكيان الدولة، فهل نتوقع أن يحضر ذلك المشهد، ويسمع تلك الوَصاة ثم يتخلَّى عنها لابن أبي سفيان؟!

أي إساءةٍ لمقام سيِّدنا الحسن عليه السلام أعظم من هذه، بل مَن سيلوم الناس إذا تخلوا عن هذا العهد وقد تخلَّى عنه مَن عُهد به إليه، وحاشاه وحاشاهم.

ثم قارن ذلك بعثمان رضي الله عنه الذي بُويع بالخلافة، لا عن عهدٍ ولا عقدٍ من رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، ولكن عن شُورى ورضا من المسلمين، فلما حُوصر في بيته وطُلب منه التخلِّي عن الخلافةِ استعصم وتلقَّى الموتَ كفاحًا؛ رعايةً ووفاءً لعقدِ المسلمين وبيعتهم.

فهل تظن بالحسن ابن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، ومَن أمه البَضْعةُ النبوية، وأبوه حبيبُ الله ورسوله ومولى كلِّ مؤمن ومؤمنة أن يتخلَّى عن عقد النبي وعهده ويعطي الخلافة التي هي في يده إلى غيره وهي وَصاة رسول الله إلى أبيه؟

لا يمكن أن نظن بسِبْط رسول الله وريحانته وسلالة البَضْعة النبوية أن يسمع عقد النبي صلى الله عليه وآله وسلم وعهده إلى أبيه، ثم يعجز عما فعله عثمان رضي الله عنه لو أُلجئ إليه، وأهون عليه أن يتلقَّى الموت كفاحًا من أن يتخلَّى عن عقد النبي صلى الله عليه وآله وسلم وعهده لو عاقده وعاهده.

٢٨- وهنا في القصة طرف لا يمكن أن يُتَّهم بممالأة أو إخلاف، وهن أمهات المؤمنين رضي الله عنهن اللاتي خيَّرهن اللهُ في كتابه، فقال: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ قُل لِّأَزْوَٰجِكَ إِن كُنتُنَّ تُرِدْنَ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا وَزِينَتَهَا فَتَعَالَيْنَ أُمَتِّعْكُنَّ وَأُسَرِّحْكُنَّ سَرَاحًا جَمِيلًا ﴿٢٨﴾ وَإِن كُنتُنَّ تُرِدْنَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَٱلدَّارَ ٱلْـَٔاخِرَةَ فَإِنَّ ٱللَّهَ أَعَدَّ لِلْمُحْسِنَـٰتِ مِنكُنَّ أَجْرًا عَظِيمًا ﴿٢٩﴾﴾ [الأحزاب: ٢٨- ٢٩]. فما تحيَّرن، ولا تردَّدن، ولكن اخترن اللهَ ورسولَه، والدار الآخرة، وإن زُوِيَ عنهن من متاع الدنيا ما زُوِيَ، وعَبَرْنها بالمتاع القليل اليسير.

فلا عجب بعد ذلك أن زكَّاهن الله لنبيه صلى الله عليه وآله وسلم، ورضيهنَّ له، وقَصَرَهُ عليهن دون غيرهن، فقال: ﴿لَّا يَحِلُّ لَكَ ٱلنِّسَآءُ مِنۢ بَعْدُ وَلَآ أَن تَبَدَّلَ بِهِنَّ مِنْ أَزْوَٰجٍ وَلَوْ أَعْجَبَكَ حُسْنُهُنَّ﴾ [الأحزاب: ٥٢].

وما تبدَّل النبيُّ صلى الله عليه وآله وسلم بهن غيرهن، ولا فارق أيًّا منهن.

وجعلهن الله أمهاتٍ للمؤمنين إلى قيام الساعة، فقال: ﴿ٱلنَّبِيُّ أَوْلَىٰ بِٱلْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنفُسِهِمْ ۖ وَأَزْوَٰجُهُۥٓ أُمَّهَٰتُهُمْ﴾ [الأحزاب: ٦]، وحرَّم نكاحهن بعد رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، فقال: ﴿وَمَا كَانَ لَكُمْ أَن تُؤْذُوا۟ رَسُولَ ٱللَّهِ وَلَآ أَن تَنكِحُوٓا۟ أَزْوَٰجَهُۥ مِنۢ بَعْدِهِۦٓ أَبَدًا ۚ﴾ [الأحزاب: ٥٣]، فعُلم أنهن زوجاتُه صلى الله عليه وآله وسلم في الدنيا والآخرة، رضي الله عنهنَّ وأرضاهن.

ثم إن زوجاته عليهن السلام من قبائل شتَّى، فمنهن القرشيات، ومنهن المُصْطَلَقية: جُويرية بنت الحارث، والنضيرية الإسرائيلية: صفية بنت حُيَيٍّ بن أَخْطَبَ، والهلالية: ميمونة بنت الحارث.

ثم إن القرشيات منهن كن من بطون شتَّى من قريش، فمنهن: التيمية، والعدوية، والمخزومية، والعامرية، والأَسَدية، والأُموية.

وكن أمهات المؤمنين كلُّهن مع رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم في حجة الوداع، وسمعن ما سمع الناس في غَدِير خُمٍّ.

وهن بما زكَّاهن الله به لا يمكن أن يكتمن شهادة، ولا أن يقررن نَكْث عَهْدٍ، وإخلاف ميثاق.

وكيف تتخلَّى أمهات المؤمنين عن الدنيا وزينتها، ويخترن

اللهَ ورسولَه، ثم يَرَيْنَ عهدَه يُنقض، وميثاقَه يُنكث، فلا ينكرن، ولا يغيِّرن، ولا يكون لهن رأي ومقام، لو كان ثَمَّ عهد وميثاق.

وهن على تنوع قبائلهن وعشائرهن لا يمكن أن يتهمن بتواطؤ مع بطن أو عشيرة ضد عليٍّ عليه السلام، ولا أن يؤثرن أحدًا على مَن آثره رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، وعهد إليه.

٢٩- كان بين «غَدِير خُمٍّ» ووفاة النبي صلى الله عليه وآله وسلم واستخلاف أبي بكر رضي الله عنه أربعة وثمانون يومًا، وهي مدة قصيرة جدًّا لم يغب فيها مَن كان حاضرًا، ولم ينس مَن كان ذاكرًا، ولم تتغير الأحوال فيقال: كان ذلك في حال ونحن الآن في حال أخرى، فالعهد قريب.

فكيف تحضر هذه الحشود وَصاة النبي صلى الله عليه وآله وسلم وعهده، ثم بعد فترة قصيرة يُنقض العهد، وتُغَير الوَصاة، فلا يكون لأحد موقف ردٍّ، ولا اعتراض، ولا حتى استغراب وتساؤل؟!

هل يعقل ذلك أو يتصوَّر في أي جيل، فضلًا عن ذاك الجيل اليقظ المتحفِّز إلى رسول الله حبًّا ومتابعةً واقتناءً واحتفاءً.

٣٠- أنزل الله «سورة النصر» بُشرى للنبي صلى الله عليه وآله وسلم بإكمال مشروعه الدَّعَوي، وانتهاء مهمته الرسالية على الأرض إذا تحقَّقت علاماتها، وتُهَيِّئُهُ بعدها للحاق بالرَّفيق الأعلى والمحل الأسنى: ﴿إِذَا جَآءَ نَصۡرُ ٱللَّهِ وَٱلۡفَتۡحُ ١

وَرَأَيْتَ ٱلنَّاسَ يَدْخُلُونَ فِي دِينِ ٱللَّهِ أَفْوَاجًا ﴿٢﴾ فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَٱسْتَغْفِرْهُ إِنَّهُۥ كَانَ تَوَّابًا ﴿٣﴾﴾.

إنها بُشرى باستقامة أمر الدين واستتمامه، وقبول الناس له، ودخولهم فيه.

فيا لله أي بُشرى إذا كان دخول الناس في الدين دخول نفاق، يدخلون ويبايعون ويعاهدون، ثم ينكثون بأعظم عقد وعهد في يوم وفاة الرسول صلى الله عليه وآله وسلم.

هل سيبشِّر اللهُ عز وجل نبيَّه صلى الله عليه وآله وسلم بدخول الناس في دين الله أفواجًا، ويأمره بشكر هذه النعمة بالتسبيح والاستغفار، وهم سيرتدون عن دينه، ويفارقون عهده في يوم وفاته؟!

وأي نصرٍ من الله وفتحٍ لهذا الدين إذا كان صفوةُ أصحابه الذين تحقَّق بهم النصرُ والفتحُ سيعاقدونه ويعاهدونه، ثم ينكثون عهده وميثاقه قبل أن يُوارَى جسده الشريف، فما الظن إذًا بمَن تبعهم وأسلَم بعدهم؟

حاشا لله أن تكون هذه عُقبى البُشرى الإلهية لرسول الله صلى الله عليه وآله وسلم في خاتمة عمره وجهاده وبلاغه وبلائه.

ولكنها بُشرى بخلود الدين وبقاء الرسالة ما بقي الليل والنهار، وأن مهمة محمد صلى الله عليه وآله وسلم في البلاغ قد انتهت، وحان لحاقه بالرَّفيق الأعلى، وسيذهب الرسول، وتبقى الرسالة، وسيموت الداعية، وتبقى الدعوة.

وقل مثل ذلك في آيات الوعد بالإظهار للدين، والنصر للرسول صلى الله عليه وآله وسلم: ﴿ هُوَ ٱلَّذِىٓ أَرۡسَلَ رَسُولَهُۥ بِٱلۡهُدَىٰ وَدِينِ ٱلۡحَقِّ لِيُظۡهِرَهُۥ عَلَى ٱلدِّينِ كُلِّهِۦ وَلَوۡ كَرِهَ ٱلۡمُشۡرِكُونَ ﴾ [التوبة: ٣٣]، فأي إظهار للدين ولرسالة الرسول صلى الله عليه وآله وسلم إذا كان الدين سينطفئ في يوم وفاة الرسول صلى الله عليه وآله وسلم، وقبل غسله وتكفينه ودفنه بنقض أعظم عقد عقد، وعاهد عليه، واستشهد واستوثق منه، لا يمكن أن يكون هذا هو الإظهار الإلهي، ولا البُشرى القرآنية، ولكنها بُشرى بخلود الدِّين وبقاء الرسالة كما بلَّغها رسول الله وأدَّاها وبايع عليها وعاقد.

٣١- عندما نقدِّم تاريخ دعوة النبي صلى الله عليه وآله وسلم وإنجازه، نقدِّمه على أنه أعظم وأضخم إنجاز في تاريخ البشرية، وأنه صلى الله عليه وآله وسلم في مدة وجيزة نقل الناس من الظلمات إلى النور، وأدخلهم في دين الله أفواجًا، وربَّى حوله جيلًا مثاليًّا لم يتكرر في الأجيال، وأنَّ مَن دخلوا في الدِّين وتابعوه وناصروه كانوا مؤمنين به حقًّا وصدقًا، وأنه كان أحب إليهم من آبائهم وأمهاتهم، ولذا انطفأت حركات الرِّدَّة في بعض نواحي الجزيرة، بعد وفاة النبي صلى الله عليه وآله وسلم مباشرة؛ لأنها كانت تمردًا محدودًا قصير المدى، ثم انطلق أصحابُه رسلًا لرسالته، يبلغون للبشرية الدين الذي بلغه، ويوصلون للدنيا الرسالة التي أُرسِل بها.

ويترسَّخ هذا اليقين في قلوبنا اليوم كلما سمعنا: «أشهد أن محمدًا رسول الله» تُعلن في أصقاع الدنيا، في كلِّ أرضٍ، ومن كلِّ عِرْق، ونقول: ما أعظم كرامة هذا النبي على ربه: ﴿وَرَفَعۡنَا لَكَ ذِكۡرَكَ﴾ [الشرح: ٤].

ولكن هذا السياق لقصة الغَدِير، وأنها وصاة واستخلاف، وبتلك النتيجة التي انتهت إليها، نكثًا وإخلافًا، ونقضًا وغدرًا، تُظهر أن مهمة الرسول صلى الله عليه وآله وسلم إلى البشرية كانت مهمة فاشلة، لم تثمر، ولم تحقِّق نتائجها؛ فإذا كان الذين آمنوا بهذا الرسول في أول دعوته، وكانوا سببًا في إسلام غيرهم، وعاشوا معه طوال فترة النبوة، هاجروا معه، وجاهدوا معه، ثم ختموا حياتهم وحياته بالحجِّ معه، يعاهدهم هذا العهد، ويواثقهم هذا الميثاق، فيغدرون بعهده، وينقضون ميثاقه، ويتكشَّف إيمانهم عن نفاق مستور، فمعنى ذلك أن إنجازه هو تربية مجموعة من المنافقين خادعوه، فلما مات تكشَّفت مطامعهم، وأن كل ما اطَّلعوا عليه من حال النبي صلى الله عليه وآله وسلم، وما رأوه من معجزاته لم يقنعهم بصدق رسالته، ولا الوفاء بعهده، ولا الالتزام بدينه.

إن هذا السياق يقدِّم صورةً مشوهةً بائسةً لإنجاز النبي صلى الله عليه وآله وسلم خلال فترة الصبر والدعوة والتربية التي قضاها مع أمته.

وإذا كان ذلك كذلك، فكيف سيجرؤ أحدٌ أن يدعو إلى دين

محمد صلى الله عليه وآله وسلم في أي عصرٍ من العصور بعده، ماذا سيقول لنا الناس إذا دعوناهم للإسلام وفق هذه الصورة، وهذه الرواية، وقدَّمنا لهم رسالة لم يستطع رسولها أن يقنع بها أقرب الناس إليه، وأن كل من تظاهروا بالإيمان بها اتضح أنهم كانوا غير صادقين، وأنهم كانوا يخادعون هذا النبي، ويتربَّصون به؛ ولذا نقضوا عهده يوم وفاته، ولو كانوا يعتقدون صدق نبوته وصحة رسالته لكانوا أوفياء له حيًّا وميتًا.

ولينظر ما كتبه الشيخ الشريف أبو الحسن علي الحسني الندوي: في كتابه «صورتان متضادتان لنتائج جهود الرسول الأعظم صلى الله عليه وآله وسلم الدعوية والتربوية وسيرة الجيل المثالي الأول عند أهل السنة والشيعة الإمامية».

٣٢- وفي إيراد القصة بهذا السياق اتهامٌ للنبي صلى الله عليه وآله وسلم بنوع من السذاجة، وأنه خُدِع من أقرب الناس إليه، وهم صحبه الأقدمون الأقربون، فعاقدوه وعاهدوه، وهم يضمرون خديعته، وعَبَر ذلك عليه، وهذه هي تهمة المنافقين للنبي صلى الله عليه وآله وسلم يوم قالوا: ﴿هُوَ أُذُنٌۚ﴾ أي: يعبر عليه خداع القول الذي يسمعه ويُخدع به، فرد اللهُ عليهم قائلًا: ﴿قُلۡ أُذُنُ خَيۡرٖ لَّكُمۡ﴾ [التوبة: ٦١].

مع أننا حينما نقرأ سيرة النبي صلى الله عليه وآله وسلم نجد أنه لم يَخْدع أحدًا، ولم يخدعه أحدٌ، وما لم يعلمه النبي صلى الله عليه وآله وسلم بفطنته تنزَّل عليه الوحيُ فأخبره به، ولا يمكن أن يقودَ البشرية، ويحقِّق الإنجاز التاريخي العظيم من كان ساذجًا

غرًّا، يتمكَّن منه الخادعون والمنافقون، ويَعْبُر عنده تظاهرهم، وما يخفى من كيدهم.

٣٣- من أحسن ما سمعتُه من أحد علماء الشيعة قوله: إن فترة حكم الإمام علي ليست هي مدة خلافته فقط، ولكن معها أيضًا مشاركته في حكم الخلفاء قبله.

وهذا كلام صحيح، يؤكِّده أن أبا بكر رضي الله عنه لم يرسل عليًّا عليه السلام لقيادة حروب الرِّدَّة، ولا أرسله عمر ولا عثمان رضي الله عنهما لقيادة حروب الفتوح، ولو أرسلوه لكان السيف الذي لا تُفَلُّ شَبَاته، والرُّمح الذي لا تغمز قناته، ولكنهم استبقوه في المدينة لما هو أهم، فمكانه عندهم هو غرفة التحكم ومنصة القيادة؛ ولذا فهو شريك في كل إنجازات الخلفاء قبله، بمشاركته لهم في الرأي والإدارة.

فإذا كان عليٌّ عليه السلام بهذه المكانة والمثابة، أفلا يكون أول ما يشير به ويستعلن برأيه فيه الرجوع إلى عهد رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم له ووصاته إليه، وأن يناشدهم الوفاء بما عاهدوا عليه رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وعاقدوه، لو كان ثمة عهد ومعاقدة؟!

٣٤- عُرف عن عليٍّ عليه السلام مراجعته الخلفاء، وإبداء رأيه ولو خالفهم، **ومن ذلك:**

إنكاره على عمر رضي الله عنه رجم المجنونة، كما في حديث ابن عباس رضي الله عنهما قال: مَرَّ عليٌّ بن أبي طالب

بمجنونة بني فلان، قد زنت، وأمر عمرُ برجمها، فرَجَعَها عليٌّ، وقال لعمرَ: يا أميرَ المؤمنين، ترجمُ هذه؟ قال: نعم. قال: أو ما تذكرُ أن رسولَ الله صلى الله عليه وآله وسلم قال: «**رُفع القلمُ عن ثلاثٍ: عن المجنون المغلوب على عقله، وعن النائم حتى يستيقظَ، وعن الصبيِّ حتى يحتلمَ**». قال: صَدَقْتَ. فخلَّى عنها[٩٧].

وكان عمر رضي الله عنه يستعيذ بالله من معضلة ليس لها أبو حسن[٩٨].

وكذلك إنكار عليٍّ على عثمان رضي الله عنهما نهيه عن المتعة في الحج، كما في حديث سعيد بن المسيب قال: اختلف عليٌّ وعثمان رضي الله عنهما- وهما بعُسْفان- في المتعة، فكان عثمانُ ينهى أن يجمع الرجلُ بين الحجِّ والعمرة، وكان عليٌّ يأمرُ بها، فقال عثمانُ لعليٍّ: ألم تعلم أني قد نهيتُ عن هذا؟ قال: بلى. فقال عثمان: أتفعلها وأنا أنهى عنها؟ فقال عليٌّ: ما تريد إلى أمر فعله رسولُ الله صلى الله عليه وآله وسلم تَنْهَى عنه؟ فقال عثمانُ: دعنا منك. فقال: إني لا أستطيع أن أَدَعَك؛ سمعتُ رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يلبِّي بهما جميعًا، فلم أكن لأَدَع سنةَ رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم لأحد من الناس. فقال: أجل، ولكنا كنا خائفين، فلما رأى عليٌّ ذلك أهلَّ بهما جميعًا[٩٩].

فانظر إلى كلمته النورانية: «لم أكن لأَدَع سنة رسول الله

صلى الله عليه وآله وسلم لأحد من الناس».

فهل يمكن إذًا أن يدع عهد رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ووصاته لأحد من الناس؟

وهل يتصور أن يستعلن برأيه المخالف في هذه القضايا، ولا يستعلن برأيه أمام آرائهم في أصل الاختيار للخلافة، فمعه النص والوصاة والعهد، فيعترض أن يلي الخلافة أحدٌ، وقد نص النبيُّ صلى الله عليه وآله وسلم على الخليفة من بعده؟!

فهذا الحكم أهم من تلك الأحكام الجزئية وأسبق، وأوثق وأحكم، لو كان ثمة وصاة وعهد!

٣٥- عندما تولَّى أبو بكر رضي الله عنه سألته فاطمةُ عليها السلام أن يقسم لها ميراثها مما ترك رسولُ الله صلى الله عليه وآله وسلم مما أفاء الله عليه، فقال لها أبو بكر رضي الله عنه: إن رسولَ الله صلى الله عليه وآله وسلم قال: «**لا نُورَث، ما تركنا صدقةٌ**». وأَبَى أبو بكر عليها ذلك، فغضبت فاطمةُ بنت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، فهجرت أبا بكر، فلم تزل مهاجرته حتى توفيت، وعاشت بعد رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ستة أشهر(١٠٠).

إن سيدة نساء العالمين عليها السلام لم تتردَّد في المطالبة بما تعتقده حقًّا لها، وأعلنت رأيها، وأشهرت مغاضبتها لأبي بكر رضي الله عنه، وذلك في شأن الميراث من رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، أفليست الوصية بالخلافة لزوجها وابن عمها

أولى أن تذكره وتطالب به؟!

وإذا كانت سيدة نساء العالمين تطالب وتغاضب أبا بكر في شأن الميراث، أفلا يستطيع عليٌّ زوجها أن يطالب بوصاته والعهد بالإمامة له، لو كان ثمة عهد ووصاة؟

٣٦- علاقة عليٍّ مع أبي بكر رضي الله عنهما علاقة محبة واحتفاء وتقدير، يتجلَّى ذلك في مشهد أبي بكر أيام خلافته مع عليٍّ رضي الله عنهما، وهما يتماشيان خارجان من المسجد بعد صلاة العصر، فيرى أبو بكر الحسنَ بن عليٍّ رضي الله عنهم في الطريق يلعب مع الصبيان، فيُقبل إليه، فيأخذُه ويحمله على عاتقه، وهو ينشد:

وَابِأَبي شِبْهُ النَّبي   ليس شبيهًا بعَلَي

وعليٌّ يمشي إلى جانبه يضحك سرورًا بصنيع أبي بكر(١٠١).

فهل مشهدٌ أعذب وُدًّا وأقرب قربًا من مشهد الحب البهيج هذا؟

كما يتجلَّى الاحتفاء بينهما في تسمية عليٍّ عليه السلام أحد أبنائه: أبا أبكر، على اسم الصِّدِّيق رضي الله عنه، وعاش أبو بكر بنُ عليٍّ بن أبي طالب حتى استشهد مع أخيه الحسين عليه السلام في كَرْبلاء(١٠٢).

وفي زواج عليٍّ عليه السلام بأرملة أبي بكر أسماء بنت عُميس رضي الله عنها(١٠٣)، وتربية ابنها محمد بن أبي بكر في حَجْره، ونشأته بين يديه، وتعلقه به محبةً ونصرةً، ولذا كان مع

عليٍّ عليه السلام في معركة الجمل وصفِّين، وكان على الرَّجَّالة يوم الجمل، وولَّاه عليٌّ عليه السلام على مصر، ولما قُتل حزن عليه حزنًا شديدًا، وقال: «إني كنتُ لأعدُّه ولدًا، وكان أخًا وابنَ أخ، فعند الله نحتسبُه»[١٠٤].

ويتجلَّى الحب والاحتفاء في علاقة عليٍّ بعمر رضي الله عنهما، بتزويجه ابنته أم كلثوم بنت علي بن أبي طالب وابنة فاطمةَ الزهراء عليهما السلام[١٠٥].

وإنما خطبها عمرُ رضي الله عنه إلى عليٍّ عليه السلام؛ حرصًا على القُربي من النسب الشريف، وقال: إني سمعتُ رسولَ الله صلى الله عليه وآله وسلم يقولُ: «**كلُّ نسب وسبب منقطعٌ يومَ القيامة، إلا سببي ونسبي**». فأحببتُ أن يكون بيني وبين رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم سببٌ ونسبٌ[١٠٦].

فولدت أم كلثوم لعمر ابنه زيد بن عمر الأكبر، ورقية بنت عمر، وعاش زيد حتى توفي شابًّا مع أمه أم كلثوم في يوم واحد[١٠٧].

ومن مشاهد الود بين علي وعمر رضي الله عنهما تسمية عليٍّ أحدَ أبنائه: عمر بن علي بن أبي طالب، على اسم الفاروق، وكان وُلد في خلافة عمر، فسماه عمر باسمه، ووهبه غلامًا اسمه: مُورِّق، ووافق عليٌّ على ذلك ورضيه، وعاش عمر بن علي بن أبي طالب إلى خلافة الوليد بن عبد الملك[١٠٨].

ولما تُوفي عمر رضي الله عنه ووُضع على سريره، وقف عليه

عليٌّ عليه السلام فترحَّم عليه، وقال: «ما خلَّفتُ أحدًا أحبَّ إليَّ أن أَلْقَى اللهَ بمثل عمله منك، وايْمُ الله، إن كنتُ لأظنُّ أن يجعلكَ اللهُ مع صاحبيك، وحسبتُ أني كنتُ كثيرًا أسمعُ النبيَّ صلى الله عليه وآله وسلم يقولُ: ذهبتُ أنا وأبو بكر وعمرُ، ودخلتُ أنا وأبو بكر وعمرُ، وخرجتُ أنا وأبو بكر وعمرُ»(١٠٩).

فهل يمكن أن تكون هذه العلاقة الحفيَّة بهما وهو يراهما غاصبين لحقِّه، ناكثين بعهد رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم إليه؟!

٣٧- كان بنو هاشم عندما تُوفِّي النبيُّ صلى الله عليه وآله وسلم جمعًا غير قليل، منهم: العباس بن عبد المطَّلب، وأبناؤه: الفضل وقُثَم وعبد الله، وعَقِيل بن أبي طالب، وأبو سفيان بن الحارث بن عبد المطَّلب، ونوفل بن الحارث بن عبد المطَّلب، ورَبِيعة بن الحارث بن عبد المطَّلب، وغيرهم، وكذا بنو عمهم بنو المطَّلب بن عبد مناف الذين قال فيهم النبيُّ صلى الله عليه وآله وسلم: «**إنما بنو هاشم، وبنو المطَّلب شيءٌ واحدٌ**»(١١٠). فكيف لم يتكلم أحدٌ منهم أو يعترض، وكيف لم يُذْكَر لهم موقفٌ جماعي على أخذ الأمر الذي عهد به النبي صلى الله عليه وآله وسلم إليهم في شخص عليٍّ عليه السلام، على ما نَعْلَمه من قوة علاقة القُربى بينهم؟!

لقد وقف بنو هاشم وبنو المطَّلب مع النبي صلى الله عليه وآله وسلم مسلمُهم وكافرُهم أمام قريش كافةً في حصار الشِّعْب،

أفلا يقفون مع عليٍّ عليه السلام ومعه عهد النبي صلى الله عليه وآله وسلم وميثاقه؟!

٣٨- قال السيد محمد رشيد رضا في «تفسير المنار» عند قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ وَإِن لَّمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُ وَاللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ﴾ [المائدة: ٦٧]: «إننا نجزم بأن مسألة الإمامة لو كان فيها نصٌّ من القرآن أو الحديث لتواتر واستفاض، ولم يقع فيها ما وقع من الخلاف، ولتصدَّى عليٌّ للقيام بأمر المسلمين يوم وفاة النبي صلى الله عليه وآله وسلم، فخطبهم وذكَّرهم بالنص، وبيَّن لهم ما يحسن بيانه في ذلك الوقت، وكان هو الواجب عليه لو كان يعتقد أنه الإمام بعد رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بأمر من الله ورسوله.

ولكنه لم يقل ذلك، ولا احتجَّ بالآية هو ولا أحدٌ من آل بيته وأنصاره الذين يفضِّلونه على غيره، لا يوم السَّقِيفة، ولا يوم الشُّورى بعد عمر، ولا قبل ذلك ولا بعده في زمنه، وهو هو الذي كان لا تأخذه في الله لومةُ لائم، ولم يعرف التَّقِيَّة في قول ولا عمل؛ وإنما وُجدت هذه المسائل، ووُضعت لها الروايات، واستُنبطت الدلائل بعد تكوُّن الفِرَق، وعصبية المذاهب.

والوصية بالخلافة لا مناسبة لها في سياق محاجة أهل الكتاب، فهي مما لا ترضاه بلاغة القرآن، بل لو أراد النبيُّ صلى الله عليه وآله وسلم النص على خليفته من بعده، وتبليغ ذلك للناس، لقاله في خطبته في حجة الوداع، وهي التي استشهد

الناسَ فيها على تبليغه فشهدوا، وأشهد اللهَ على ذلك.

دع سياق الآية وما قبلها وما بعدها؛ فإنها هي نفسها لا تقبل أن يكون المراد بالتبليغ فيها تبليغ الناس إمارة علي، وأما المتبادر من الآية فالظاهر أنه الأمر بالتبليغ العام في أول الإسلام، فتأمَّل الآية في ذاتها بعين البصيرة، لا بعين التقليد.

وأما الحديث فنهتدي به، نُوالي عليًّا المُرتضى، ونُوالي مَن والاهم، ونُعادي مَن عاداهم، ونعدُّ ذلك كموالاة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، ونؤمن بأن عِترته صلى الله عليه وآله وسلم لا تجتمع على مفارقة الكتاب الذي أنزله الله عليه، وأن الكتاب والعِترة خليفتا الرسول، فقد صحَّ الحديث بذلك في غير قصة الغَدِير، فإذا أجمعوا على أمر قبلناه واتَّبعناه، وإذا تنازعوا في أمر رددناه إلى الله والرسول». انتهى باختصار(١١١).

٣٩- وعندما ننظر الآن في مسار التاريخ وما فيه من تموجات وتقلبات، نعلم بيقين أنه كان من لطف الله بخلقه، وحكمته البالغة في شرعه، أَلَّا يعهد النبيُّ صلى الله عليه وآله وسلم بالخلافة لأحدٍ بعده؛ لأن سياسة الدولة واختيار الحاكم وطرق الحكم أمر دنيوي، يختلف الاجتهاد فيه باختلاف الأحوال والأزمان، فترك النبيُّ صلى الله عليه وآله وسلم الأمة من غير عهد صريح بالخلافة ينص على أحد من أصحابه بعينه، فتولَّى أبو بكر رضي الله عنه بطريقة الشُّورى المصغَّرة، وتولَّى عمر رضي الله عنه بالعهد ممن قبله بعد استشارة أُولي الرأي

والمشورة، وتولَّى عثمان رضي الله عنه بالشورى الموسَّعة، وتولَّى علي عليه السلام بانتخاب الناس له، فلم يكن في وقته مَن يختاره الناس عليه، وتولَّي الإمام الحسن بن علي رضي الله عنهما الخلافة ثم تنازل عنها؛ رعاية لمصلحة الأمة، وخرج الإمام الحسين رضي الله عنه طلبًا للخلافة؛ استنقاذًا للأمة.

فتنوع الطرق في فترة محدودة بين الخلفاء مؤذنٌ بأن لكل عصرٍ ما يلائمه.

وإن من حكمة الشارع وسعة الشرع أن تُركت طريقة تولِّي الإمامة غير منصوصة؛ لتكون مساحة الاجتهاد والتنوع فيها واسعة بما يناسب تغيرات الناس وتطورات الأحوال.

❍ ❍ ❍

الغَدِير وفريضة التفكير

لا يصح أن نروي تاريخنا كما تُروى الحكايات والأساطير، فلا نُعْمِل عقولنا فيما نروي، ولا نفكِّر فيما نعتقد، وبخاصة إذا روينا عن نبِّينا المصطفى صلى الله عليه وآله وسلم، وعن سيِّدنا وليِّنا عليٍّ المرتضى.

وكان ما نرويه يعقد في قلوبنا إيمانًا نعتقده، ودينًا ندين اللهَ به، ويُثمر في مشاعرنا حبًّا وبغضًا، وولاءً وبراءً، ويوجِّه طريقنا في مسيرنا إلى مصيرنا الخالد في الدار الآخرة.

إن إيمان الإنسان ودينه وطريق سيره إلى الله تعالى يجب أَلَّا يكون بمنأى عن عقله وتفكيره؛ فالعقل مناط التكليف، والتفكير فريضة إسلامية، وأهم ما أُعمِل فيه العقل وأثمنُهُ وأخطرُهُ: قرارُ الإنسان في تصحيح تدينه وتوجهه إلى الله.

ولا يصح أن يُعمِل الإنسان عقله في أمور دنياه، ويعطِّلَ عقلَه ويطفئَ تفكيرَه في أمر دينِهِ وآخرتِه.

وما استُنْفِرَ العقل واستُثير وعُظِّم وأُعمل كما استُنْفِرَ وأُعمل في آيات القرآن؛ وذلك أن التفكير وإعمال العقل يُوجب الإسلام

وتصحيح التدين، كما أن الإسلام يُوجب التفكير وإعمال العقل.

ولا يمكن أن يأتي في الدين ما يحيله العقل ويرفضه، وإن أتى فيه ما لا يفهمه العقل ولا يدركه؛ فإن الشرع يأتي بما لا يدركه العقل، ولكن لا يمكن أن يأتي بما يرفضُهُ وينكرُه العقل، كما قيل: «يأتي الشرع بمَحَاراتِ العقول، ولا يأتي بمُحالات العقول».

إنَّ القرآن الكريم لا يذكر العقل إلا في مقام التعظيم والتنبيه إلى وجوب العمل به والرجوع إليه، قال تعالى: ﴿وَمَا ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَآ إِلَّا لَعِبٌ وَلَهْوٌ وَلَلدَّارُ ٱلْآخِرَةُ خَيْرٌ لِّلَّذِينَ يَتَّقُونَ أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾ [الأنعام: ٣٢]، وقال تعالى: ﴿يُؤْتِي ٱلْحِكْمَةَ مَن يَشَآءُ وَمَن يُؤْتَ ٱلْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِيَ خَيْرًا كَثِيرًا وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّآ أُوْلُوا۟ ٱلْأَلْبَٰبِ﴾ [البقرة:٢٦٩]، وقال سبحانه: ﴿ٱنظُرْ كَيْفَ نُصَرِّفُ ٱلْآيَٰتِ لَعَلَّهُمْ يَفْقَهُونَ﴾ [الأنعام: ٦٥]، وقال عز وجل: ﴿أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلْقُرْءَانَ أَمْ عَلَىٰ قُلُوبٍ أَقْفَالُهَآ﴾ [محمد:٢٤].

بهذه الآيات وما جرى مجراها تقرَّرت- ولا جرم- فريضة التفكير في الإسلام، وتبيَّن منها أن العقل الذي يخاطبه الإسلام هو العقل الذي يعصم الضمير، ويدرك الحقائق، ويميِّز الأمور، ويوازن بين الأضداد، ويتبصَّر ويتدبَّر ويحسن الادِّكار والرَّوِيَّة، وأنه هو العقل الذي يقابله الجمود والعنت والضلال، وليس بالعقل الذي قصاراه من الإدراك أنه يقابل الجنون.

والذي ينبغي أن نثوب إليه مرة بعد مرة أن التنويه بالعقل

على اختلاف خصائصه لم يأت في القرآن عَرَضًا ولا تردَّد فيه كثيرًا من قبيل التكرار المعاد، بل كان هذا التنويه بالعقل نتيجة منتظرة يستلزمها لُباب الدين وجوهره، ويترقَّبها من هذا الدين كل مَن عرف كُنهه، وعرف كُنه الإنسان في تقديره.

إن أعظم ما يعطِّل العقل ويطفئ وهج التفكير في أخطر القضايا وأهمها في حياة الإنسان، هو تقليد الآخرين وتحميلهم مسؤولية إيماننا وديننا.

وقد يكون مَن نُلقي إليه قياد اعتقادِنا سلفُ آبائنا، أو مجتمعُنا المحيطُ بنا.

وإن الإسلام ليَأْبَى على المرء أن يحيل أعذاره على آبائه وأجداده، ويَنْعَى على الذين يستمعون الخطاب أن يُعْفوا أنفسهم من مؤونة العقل؛ لأنهم ورثوا من آبائهم وأجدادهم عقيدة لا عقل فيها.

﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ ٱتَّبِعُواْ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ قَالُواْ بَلْ نَتَّبِعُ مَآ أَلْفَيْنَا عَلَيْهِ ءَابَآءَنَآ أَوَلَوْ كَانَ ءَابَآؤُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ شَيْـًٔا وَلَا يَهْتَدُونَ﴾ [البقرة: ١٧٠].

إن علينا أن نَبَرَّ الآباء ونكون أوفياءَ لهم، ولكن البر بهم غير الضلال معهم على غير بصيرة.

والعقلاء هم الذين يعرفون موضع هذا وموضع ذاك.

وكذا يقال في استتباع مجتمعنا المحيط بنا فيما نؤمن به دون أن نُعْمِلَ عقولنا فيه تمحيصًا وتحقيقًا، وإن التحرُّرَ من

سلطة المجتمع المحيط بنا يحتاج إلى يقظة فكرٍ، وقوة إرادةٍ، وقدرةٍ على المجاهدة: ﴿وَٱلَّذِينَ جَٰهَدُواْ فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا﴾ [العنكبوت: ٦٩].

وحين يكون إعمال العقل أمرًا من أوامر الخالق يمتنع على المخلوق أن يعطِّل عقله مرضاة لمخلوقٍ مثله، أو خوفًا منه، ولو كان هذا المخلوق جمهرة من الخلق تغمرنا وتحيط بنا من حولنا(*).

إن الذين يحملون نعوشنا إلى قبورنا سيسلموننا فيها ويعودون لنواجه وحدنا حصيلة عمرنا.

إن مَن حولنا لن يكونوا معنا حينما نُبعث من قبورنا وحدنا: ﴿وَكُلُّهُمْ ءَاتِيهِ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ فَرْدًا﴾ [مريم: ٩٥].

إن كل مَن حولنا لن يأتوا معنا حينما نأتي ربنا فرادى: ﴿وَلَقَدْ جِئْتُمُونَا فُرَٰدَىٰ كَمَا خَلَقْنَٰكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ﴾ [الأنعام: ٩٤].

إن كل مَن حولنا لن يكونوا معنا يوم القيامة فـ ﴿لِكُلِّ ٱمْرِيٍٕ مِّنْهُمْ يَوْمَئِذٍ شَأْنٌ يُغْنِيهِ﴾ [عبس: ٣٧].

إن كل مَن يجادلوننا لن يجادلوا عنا: ﴿يَوْمَ تَأْتِي كُلُّ نَفْسٍ تُجَٰدِلُ عَن نَّفْسِهَا﴾ [النحل: ١١١].

إننا لن نُسأل عن اتِّباع أحد، مهما عَظُم وعُظِّم، إلا رسولنا صلى الله عليه وآله وسلم، وسنسأل عنه وحده لا عن غيره:

(*) ينظر: «التفكير فريضة إسلامية» للأستاذ عباس العقاد، وفي هذا الفصل قبسات عدة منه.

﴿مَاذَآ أَجَبۡتُمُ ٱلۡمُرۡسَلِينَ﴾ [القصص: ٦٥].

أفلا نحتاج إلى إعمال العقل، وبذل الجهد، واستفراغ الوُسع؛ حتى نظفر بطُمأنينة اليقين أننا حقَّقنا الاستجابة لمَن سنُسأل عن إجابته.

ولن نستشعر برد يقين الهداية إلا إذا استوهبناها ممن يملكها ويُنْعِمُ بها، لَعلَّنا أن نكون ممن يقولون غدًا على آرائك الجنة: ﴿ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ ٱلَّذِي هَدَىٰنَا لِهَٰذَا وَمَا كُنَّا لِنَهۡتَدِيَ لَوۡلَآ أَنۡ هَدَىٰنَا ٱللَّهُۖ﴾ [الأعراف: ٤٣].

وأن يكون سؤالنا الهداية من ربِّنا بصدقٍ وتجرد، وتسليمٍ وانقياد؛ حتى يسدِّد عقولنا، وينير بصائرنا، ويهدي قلوبنا.

اللهمَّ اهدنا فيمَن هديت، ﴿ٱهۡدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلۡمُسۡتَقِيمَ﴾، اهدنا لما اختلف فيه من الحقِّ بإذنك، إنك تهدي مَن تشاء إلى صراط مستقيم.

﴿رَبَّنَآ ءَامَنَّا بِمَآ أَنزَلۡتَ وَٱتَّبَعۡنَا ٱلرَّسُولَ فَٱكۡتُبۡنَا مَعَ ٱلشَّٰهِدِينَ﴾.

﴿رَبَّنَا ٱغۡفِرۡ لَنَا وَلِإِخۡوَٰنِنَا ٱلَّذِينَ سَبَقُونَا بِٱلۡإِيمَٰنِ وَلَا تَجۡعَلۡ فِي قُلُوبِنَا غِلّٗا لِّلَّذِينَ ءَامَنُواْ رَبَّنَآ إِنَّكَ رَءُوفٞ رَّحِيمٌ﴾.

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته

❍ ❍ ❍

تكوين الكتاب

١- تكونت فكرة الكتاب أثناء مذاكرة مع أخي أبي هاني حمد الغماس، فاقترح الفكرة قبل نحو عشرين سنة، ومنذ ذلك الحين وهي تربو كلما أعملتُ الفكر فيها تأمُّلًا، أو تتبَّعْتُ موضوعها بحثًا، أو ألقيتُها حديثًا، أو تذاكرتُ فيها مع صديقٍ، فائْتَلفَ من ذلك هذه الضميمة بين يديك.

٢- تذاكرتُ الموضوع وهو فكرة في طور التكون مع إخوتي من الباحثين والمهتمين فتوسَّع مجاله وتحدَّدت معالمه، ثم عرضتُه بعد اكتماله على جمع من إخوتي ومشايخي، فاستفدتُ من نظرتهم تسديدًا وتصويبًا وإضافةً، فأتممتُ واستدركتُ، فالله يشكر جهدهم، ويتولَّى جزاءهم، ولا يزالُ المرءُ قليلًا بنفسه كثيرًا بإخوانه.

٣- اعتمدتُ في سياق الأحاديث في الكتاب على جمع الروايات في سياق واحد، على نحو ما صنعتُ في كتاب: «**كأنك معه**»، و«**قصص نبوية**»، فالعزو إلى مجموعة من المصادر الحديثية الجامعة هو للنص الذي يكون سياقه متحصِّلًا من مجموعها، وإن كان مفرَّقًا بينها غير مجتمع في واحد منها، وقد

بسطتُ الحديث عن هذا المنهج في كتاب: «**كأنك معه**» فصل: «**ما بعد الكتابة**» (ص١٦٣).

٤- اجتهدتُ في اختيار النصوص الصحيحة ما أمكن ، وقد أُورد رواياتٍ وأخبارًا في سندها بعض الضعف، هي كالتتمَّة لما في الأخبار الصحيحة، إذا لم يكن في متنها نكارة ظاهرة؛ وذلك أن جمع الأخبار إلى بعضها يكشف عما يستنكر ولا يأتلف مع جملة ما صح منها، كما أنه يُجبر- أحيانًا أخرى- ضعف بعض ما ورد بإسناد فيه مقال؛ لوجود شواهد لمعناه، أو لأن سياق الأخبار يقتضيه، ونحو ذلك.

٥- لم أعمد إلى الاستقصاء في البحث بما يُفضي إليه ذلك من تعمق وتشَعُّب، ولكن قصدت إلى جمع روايات الحديث، وعرض القصة مكتملة بتداعياتها القبلية والبعدية، مع إظهار مشاعر الحب، وإعلان الموالاة، لمَن أُمرنا بحبِّه، وفُرضت علينا موالاته، مولانا وحبيبُ ربِّنا ونبيِّنا: أميرُ المؤمنين عليُّ بنُ أبي طالب عليه السلام، مع الاعتناء بوضوح الفكرة، وسلاسة السياق، واختصار القول ما أمكن، والاجتهاد في تحرِّي مراد نبيِّنا فيما قال وأمر، سائلًا اللهَ لي ولكم الإخلاص في القصد، والصدق في القول، والصلاح في العمل، إن ربي لطيف لما يشاء إنه هو العليم الحكيم.

❍❍❍

شكر وتقدير

أشكر مشايخي وإخوتي الذين عبر الكتاب أمام أعينهم في طور التكوين، فأفدتُ منهم استدراكًا أو إضافة، فسدَّدتُ وأكملتُ، فهم شركاء فيما هو مسطور بين يديك:

أخي الشيخ حمد الغماس؛ فهو الذي أهداني فكرة الكتاب قبل نحو عشرين سنة، ثم راجعه فأضاف إليه أفكارًا مهمة استتمم بها، فهو مؤلِّف الكتاب قبل مؤلِّفه، ومتمِّمه بعد تأليفه، أحتسبُ له أجره؛ فهو الذي سنَّه ودلَّ عليه.

والشيخ د. الشريف حاتم العوني؛ فقد اقترح إضافات مهمة ألحقتُها في أماكنها.

وإلى شيخي الشيخ صالح الشامي، وأستاذي د. أحمد البراء الأميري، وأخي د. خالد البهلال، وأخي الأديب الناقد حسين بافقيه، وأخي د. عبد الله الصبيح، وأخي د. خالد الدويش، وأخي الشيخ ياسر المطرفي، وأخي الشيخ خالد الوصابي؛ وأخي د. سامي الماجد؛ على الملاحظات والتصحيحات التي أفادوا بها فاستدركتُها.

وأخي الشيخ محمود شعبان عبد المقصود الذي تولَّى تخريج الأحاديث وتوثيق الإحالات.

وأخي الأستاذ صالح الفوزان؛ لإسهامه الجميل المميَّز في نسج العبارة، وتقديم الكتاب، وإخراج الغلاف.

كما أشكر الإخوة الفضلاء الذين ساعدوني في تتبع الأثر والوقوف على مكان الغَدِير والتعرف على ما حوله: الشيخ د.أحمد النعماني، والشيخ سالم الغانمي، والأستاذ عز الدين المسكي، والأستاذ منصور الأنعم.

ولأخي الجغرافي المكي أ.د. معراج مرزا، الذي أمدني بالخرائط والصور الجوية والمسافات الهوائية.

فلهم جميعًا الشكر والثناء وصادق الدعاء، ولا يزال العلم رحمًا بين أهله.

❍ ❍ ❍

إهداء

إلى صديقتي، إلى شقيقتي، إلى أمي مع أمي، إلى التي شاركتني ألعاب الطفولة، وصحبتني مراحل العمر وأطوار الحياة:

أختي أم نايف بن سعود العصيمي، منيرة الناصر الطريري

وإلى شريكة عمري، ورفيقة دربي، الصابرة المثابرة لي ومعي:

زوجتي أم ناصر هيا بنت علي بن فواز آل موسى

اعترافًا لهما بفضل لم أستطع كفاءه، فالله يتولَّى عني جزاءه.

❍ ❍ ❍

الخرائط والصور



موقع غدير خم على طريق حجة الوداع



صورة جوية يظهر فيها غدير خم والجحفة



خريطة غدير خم وما حوله



طريق القوافل القديم بين مكة والمدينة، ويسمى: طريق الأنبياء ويقع غدير خم شرق هذا الطريق



وادي الجحفة الذي يقع على شفيره غدير خم



صورة قديمة لغدير خم



صورة قديمة لحوض الغدير



صورة قديمة لمكان الغدير بعد أن دفنه السيل



مع الشيخ سالم الغانمي، والأخ عابد البلادي، والابن صالح الأنصاري من أهالي رابغ العارفين بالمنطقة عند مكان الغدير



مكان الغدير على حافة جسر قطار الحرمين



شجرات السمر في الوادي حول غدير خم، وقد خطب النبي صلى الله عليه وآله وسلم تحت شجرتي سمر



الشيخ المؤرخ د. أحمد النعماني يقف في المكان الذي يقال إنه مصلى النبي صلى الله عليه وآله وسلم عند غدير خم



دوحات السمر حول غدير خم

الهوامش

(١) ينظر: «مسند أحمد» (٦٤٢، ٧٣١)، و«فضائل الصحابة» لأحمد (٩٤٨، ٩٦١، ١١٠٢، ١١٠٧)، و«صحيح مسلم» (٧٨).

(٢) ينظر: «مسند أحمد» (١٤٩٠)، و«فضائل الصحابة» لأحمد (٩٥٤، ٩٥٦)، و«صحيح البخاري» (٣٧٠٦، ٤٤١٦)، و«صحيح مسلم» (٢٤٠٤).

(٣) ينظر: «مسند أحمد» (٨٥٧، ٩٣١)، و«صحيح البخاري» (٢٦٩٩، ٤٢٥١).

(٤) ينظر: «مسند أحمد» (٧٧٨، ١١١٧)، و«فضائل الصحابة» لأحمد (١٠٤٤، ١١٢٢)، و«صحيح البخاري» (٣٠٠٩، ٤٢١٠)، و«صحيح مسلم» (٢٤٠٤-٢٤٠٦).

(٥) ينظر: «مصنف ابن أبي شيبة» (٣٥٩٣٨)، و«السنن الكبرى» للنسائي (٨٤٣٩، ٨٤٤٠)، و«المعجم الكبير» للطبراني (١٩/ ٤٠) (٨٥، ٨٦)، و«المستدرك» (٣/ ١٢٥).

(٦) تقدم برقم (٤).

(٧) ينظر: «صحيح البخاري» (٣٧٠٤، ٤٥١٥، ٤٦٥٠)، و«السنن الكبرى» للنسائي (٨٤٣٨)، و«صحيح ابن حبان» (٥٥٧٩)، و«المعجم الكبير» للطبراني (١٣٩٤٨).

(٨) ينظر: «صحيح البخاري» (٢٧٠٤).

(٩) ينظر: «مسند أحمد» (٢٢٩٩٥)، و«فضائل الصحابة» لأحمد (١٣٥٨)، و«سنن أبي داود» (١١٠٩)، و«جامع الترمذي» (٣٧٧٤)، و«سنن ابن ماجه» (٣٦٠٠)، و«سنن النسائي» (٣/ ١٠٨، ١٩٢)، و«صحيح ابن خزيمة» (١٤٥٦، ١٨٠١، ١٨٠٢)، و«صحيح ابن حبان» (٦٣٠٨، ٦٠٣٩)، و«المستدرك» (١/ ٢٨٧)، (٤/ ١٨٩)، و«معجم ابن عساكر» (١١٢٧).

(١٠) ينظر: «مسند أحمد» (٩٤٨)، و«صحيح البخاري» (٣٩٦٥-٣٩٦٩، ٤٧٤٤)، و«صحيح مسلم» (٣٠٣٣)، و«سنن أبي داود» (٢٦٦٥)، و«الجهاد» لابن أبي عاصم (٢٩٥)، و«المستدرك» (٣/ ١٩٤)، و«دلائل النبوة» للبيهقي (٣/ ٦٣، ٧٣)، و«السيرة الحلبية» (٢/ ٢١٩).

(١١) ينظر: «طبقات ابن سعد» (٣/ ٢٠)، و«سيرة ابن هشام» (١/ ٤٨٥، ٤٩٣)، و«تاريخ الطبري» (٢/ ٣٨٢)، و«جوامع السيرة» لابن حزم (ص٧٢)، و«سنن البيهقي» (٦/ ٤٧٢)، و«أسد الغابة» (٤/ ٨٧)، و«ذخائر العقبى في مناقب ذوي القربى» للمحب الطبري (ص٢٨١)، و«البداية والنهاية» (٤/ ٤٨٩)، و«التلخيص الحبير» (٣/ ٢١١)، و«تاريخ الخلفاء» (ص١٣٠)، و«سبل الهدى والرشاد» (٣/ ٢٣٩)، و«إرواء الغليل» (١٥٤٦)، و«أسمى المطالب في سيرة أمير المؤمنين علي بن أبي طالب رضي الله عنه» (ص٥٢).

(١٢) ينظر: «مسند أحمد» (٤، ٥٩٤، ٥٩٧٧)، و«صحيح البخاري» (٣٦٩، ٤٦٥٥- ٤٦٥٧)، و«صحيح مسلم» (١٣٤٧)، و«سنن أبي داود» (١٩٤٦)، و«جامع الترمذي» (٨٧١، ٣٠٩١، ٣٠٩٢).

(١٣) ينظر: «مسند الطيالسي» (١٧٧٣)، و«سيرة ابن هشام» (٢/ ٦٠٣)، و«مسند أحمد» (١٣٧٤، ٢٣٥٩، ٢٣٠٣٦، ٢٢٩٦٧)، و«فضائل الصحابة» لأحمد (٩٨٩، ١١٧٧، ١١٧٩، ١١٨٠)، و«صحيح البخاري» (٢٢٩٩، ٤٣٤٩، ٤٣٥٠)، و«صحيح مسلم» (١٢١٨، ١٣١٧)، و«سنن أبي داود» (١٨٦٦، ١٩٠٥)، و«جامع الترمذي» (١٧٠٤، ٣٧١٢)، و«سنن ابن ماجه» (٣٠٧٤)، و«السنن الكبرى» للنسائي (٨٤٢٨)، و«مسند الروياني» (٣٠٤)، و«تاريخ الطبري» (٣/ ١٤٩)، و«صحيح ابن حبان» (٣٩٤٤، ٦٩٢٩)، و«المستدرك» (٢/ ١٢٩-١٣٠)، (٣/ ١١٠)، و«حجة الوداع» لابن حزم، و«سنن البيهقي» (٢/ ٥١٦)، و«دلائل النبوة» للبيهقي (٥/ ٣٩٨- ٣٩٩)، و«تاريخ دمشق» (٤٢/ ١٨٩- ٢٠٠)، و«الروض الأنف» (٧/ ٥٠٥)، و«البداية والنهاية» (٧/ ٢٩٥، ٣٩٠- ٣٩٢، ٦٦٥- ٦٦٨)، (١١/ ٥٩- ٦٤)، و«فتح الباري» (٨/ ٦٦)، و«السلسلة الصحيحة» (٢٢٢٣)، و«كأنَّك معه، صفة حجة النبي صلى الله عليه وآله وسلم كأنك معه».

(١٤) تقدم برقم (٣).

(١٥) ينظر: «دلائل النبوة» للبيهقي (٥/ ٣٩٨)، و«تاريخ دمشق» (٤٢/ ٢٠٠)، والمصادر السابقة.

(١٦) ينظر: «مسند أحمد» (١٢٧٣٠، ١٢٧٦٦، ١٣٩١٣)، و«فضائل الصحابة» لأحمد (١٤٣١)، و«صحيح البخاري» (٣٧٧٨، ٤٣٣٠- ٤٣٣٤)، و«صحيح مسلم» (١٠٥٩)، و«جامع الترمذي» (٣٩٠١)، و«السنن الكبرى» للنسائي (٨٢٧٧، ١١١٥٨)، و«صحيح ابن حبان» (٧٢٧٨).

(١٧) ينظر: «مسند أحمد» (٥٩٦، ٨٣٨)، و«صحيح البخاري» (٣١١٣، ٣٧٠٥، ٥٣٦١، ٦٣١٨)، و«صحيح مسلم» (٢٧٢٧، ٢٧٢٨)، و«سنن أبي داود» (٢٩٨٨، ٥٠٦٢، ٥٠٦٣)، و«السنن الكبرى» للنسائي (٩١٢٧)، و«صحيح ابن حبان» (٦٩٢١، ٦٩٢٢).

(١٨) ينظر: «فتح الباري» (١٢/ ٣٠٩).

(١٩) ينظر: «مصنف ابن أبي شيبة» (٣٢٩٠٠)، و«فضائل الصحابة» لأحمد (٨٨٢، ٨٨٤، ٩٠٥)، و«مقتل علي» لابن أبي الدنيا (١٠٥)، و«المعجم الأوسط» للطبراني (٣٩٣٤)، و«الشريعة» للآجري (١٢١٨)، و«حلية الأولياء» (١/ ٨١، ٨٥)، و«تاريخ دمشق» (٢٤/ ٤٠١)، (٤٢/ ٤٧٧- ٤٧٨).

(٢٠) ينظر: «نهج البلاغة» (١٦/ ٣٦٩).

(٢١) تقدم برقم (١٧).

(٢٢) ينظر: «طبقات ابن سعد» (٣/ ٣٧)، و«الزهد» لأبي داود (١٠٥)، و«مقتل علي» لابن أبي الدنيا (٩٨، ١٠٢)، و«مسند البزار» (١٣٣٩)، و«السنن الكبرى» للنسائي (٨٣٥٤)، و«مسند أبي يعلى» (٦٧٥٨)، و«صحيح ابن حبان» (٦٩٣٦)، و«السنة» للخلال (٤٧١)، و«المعجم الكبير» للطبراني (٢٧١٩، ٢٧٢٢، ٢٧٢٣)، و«المعجم الأوسط» (٨٤٦٩)، و«حلية الأولياء» (١/ ٦٥)، و«تاريخ دمشق» (٤٢/ ٥٨٠، ٥٨١).

(٢٣) تقدم برقم (٣).

(٢٤) سيأتي برقم (٣٤).

(٢٥) تقدم برقم (١).

(٢٦) ينظر: «مسند أحمد» (١٦٢٩، ١٦٣١)، و«فضائل الصحابة» لأحمد (٨٥، ٨٧، ٢٥٦)، و«سنن أبي داود» (٤٦٤٩)، و«جامع الترمذي» (٣٧٤٨)، و«سنن ابن ماجه» (١٣٣)، و«السنة» لابن أبي عاصم (١٤٢٨- ١٤٣٢)، و«صحيح ابن حبان» (٦٩٩٣)، و«الأحاديث المختارة» (٣/ ٢٨٤- ٢٨٥) (١٠٨٥).

(٢٧) ينظر: «مسند أحمد» (٣٧١٧، ١٢٠١٣، ١٣٠٦٨)، و«صحيح البخاري» (٦١٦٨- ٦١٧١)، و«صحيح مسلم» (٢٦٤٠).

(٢٨) ينظر: «مسند أحمد» (١٤٥٥٣، ١٤٩٤٦)، و«صحيح مسلم» (١٢٩٧)، و«سنن أبي داود» (١٩٧٠)، و«جامع الترمذي» (٨٨٦)، و«سنن ابن ماجه» (٣٠٢٣)، و«سنن النسائي» (٥/ ٢٧٠)، و«صحيح ابن خزيمة» (٢٨٧٧).

(٢٩) ينظر: «مسند أحمد» (١٩٣٦)، و«صحيح البخاري» (١٧٥٥)- مختصرًا- و«صحيح مسلم» (١٣٢٧، ١٣٢٨)، و«شرح معاني الآثار» (٢/ ٢٣٣)، و«صحيح ابن خزيمة» (٣٠٠٠)، و«صحيح ابن حبان» (٣٨٩٧)، و«سنن الدارقطني» (٣/ ٧٣)، و«المستدرك» (١/ ٤٧٦).

(٣٠) ينظر: «معجم البلدان» (٢/ ١١١، ٣٨٩)، و«معجم معالم الحجاز» (ص١٢٤٣).

(٣١) ينظر: «مسند أحمد» (١٨٩٦٦، ٢٠٦٩٥، ٢٢٢٦٠، ٢٣٤٩٧)، و«صحيح البخاري» (٤٤٠٣)، و«صحيح مسلم» (١٢١٨)، و«سنن أبي داود» (١٩٠٥)، و«جامع الترمذي» (١١٦٣)، و«سنن ابن ماجه» (١٨٥١، ٣٠٥٧، ٣٠٧٤)، و«صحيح ابن خزيمة» (٢٨٠٨- ٢٨١٠)، و«صحيح ابن حبان» (١٤٥٧).

(٣٢) ينظر: «مصنف ابن أبي شيبة» (٣٤٦٤٨)، و«صحيح البخاري» (٤٨٣)، و«حلية الأولياء» (١/ ٣١٠)، و«سير أعلام النبلاء» (٣/ ٢٣٧)، و«فتح الباري» لابن رجب (٣/ ٤٢٨).

(٣٣) ينظر: «اليوم النبوي»: «أُمسيات الرسول صلى الله عليه وآله وسلم».

(٣٤) ينظر: «مصنف ابن أبي شيبة» (٣٢١١٨)، و«مسند أحمد» (١٨٤٧٩، ١٩٢٧٩، ١٩٢٦٥، ١٩٣٢٥)، و«فضائل الصحابة» لأحمد (٩٩٢، ١٠١٦، ١٠١٧، ١٠٤٨)، و«مسند عبد بن حميد» (٢٦٥)، و«مسند الدارمي» (٣٣٥٩)، و«صحيح مسلم» (٢٤٠٨)، و«جامع الترمذي» (٣٧١٣)، و«سنن ابن ماجه» (١١٦)، و«السنة» لابن أبي عاصم (١٥٥٠- ١٥٥٢)، و«مسند البزار» (٤٣٢٤- ٤٣٢٧، ٤٣٣٦)، و«السنن الكبرى» للنسائي (٨١١٩، ٨٤١٠، ٨٤١٥)، و«صحيح ابن خزيمة» (٢٣٥٧)، و«شرح مشكل الآثار» (٣٤٦٤)، و«المعجم الكبير» للطبراني (٥٠٢٨)، و«فضائل الخلفاء الراشدين» لأبي نعيم (١٧- ١٩)، و«المستدرك» (٣/ ١٠٩، ١١٦، ٥٣٣)، و«سنن البيهقي» (٢/ ٢١٢)، (٧/ ٤٨)، (١٠/ ١٩٤)، و«السلسلة الصحيحة» (١٧٥٠).

(٣٥) تقدم برقم (١٠).

(٣٦) ينظر: «سيرة ابن هشام» (٢/ ٢٢٤-٢٢٥)، و«طبقات ابن سعد» (٢/ ٦٤)، و«تاريخ الطبري» (٢/ ٥٧٤)، و«المستدرك» (٣/ ٣٢)، و«سنن البيهقي» (٦/ ٥٠٢)، و«الكامل في التاريخ» (٢/ ٦٧)، و«البداية والنهاية» (٦/ ٤١-٤٣)، و«أسمى المطالب في سيرة أمير المؤمنين علي ابن أبي طالب رضي الله عنه» (ص١٣٠).

(٣٧) ينظر: «صحيح مسلم» (١٨٠٧)، وما سيأتي برقم (٧٠).

(٣٨) ينظر: «المعجم الكبير» للطبراني (٢٣/ ١٤) (٢٣)، و«المستدرك» (١/ ١٥- ١٦)، و«شعب الإيمان» (٩١٢٢، ٩١٢٣)، و«السلسلة الصحيحة» (٢١٦).

(٣٩) ورد هذا المعنى عن الإمام أحمد، والنسائي، وإسماعيل ابن إسحاق القاضي. ينظر: «المستدرك» (٣/ ١١٦)، و«الاستيعاب» (٣/ ١١١٥)، و«طبقات الحنابلة» (٢/ ١٢٠)، و«الرياض النضرة في مناقب العشرة» (٣/ ١٨٨)، و«الجوهرة في نسب النبي وأصحابه العشرة» (٢/ ٢٥٤)، و«فتح الباري» (٧/ ٧٤).

(٤٠) ينظر: «مصنف ابن أبي شيبة» (٣٢١١٨)، و«مسند أحمد» (١٨٤٧٩)، و«فضائل الصحابة» لأحمد (١٠١٦، ١٠٤٢)، و«الاستيعاب» (٢/ ١٨)، و«تاريخ دمشق» (٤٢/ ٢٢١، ٢٣٣، ٢٣٤)، و«البداية والنهاية» (١١/ ٧٤)، و«تفسير المنار» (٦/ ٣٨٥)، و«السلسلة الصحيحة» (٤/ ٣٤٤) (١٧٥٠)، و«السلسلة الضعيفة» (٤٩٢٣).

(٤١) ينظر: «مسند أحمد» (٢٢٩٦٧)، و«فضائل الصحابة» لأحمد (١١٨٠)، و«السنن الكبرى» للنسائي (٨٤٢٨).

(٤٢) ينظر: «تاريخ دمشق» (٤٢/ ٢٣٥)، و«الرياض النضرة في مناقب العشرة» (٣/ ١٢٨)، و«فيض القدير» (٦/ ٢١٧).

وفي إسناد الحديث ضعف؛ ولذا أورده الألباني في «السلسلة الضعيفة» (١٠/ ٦٩٣) (٤٩٦١)، ولكن معناه يتسق مع ما يُروى عن عمر رضي الله عنه في شأن عليٍّ رضي الله عنه وآل البيت؛ فتقويته وقبوله أولى.

(٤٣) ينظر: «مسند أحمد» (٢٣٥٦٣)، و«فضائل الصحابة» لأحمد (٩٦٧)، و«المعجم الكبير» للطبراني (٤٠٥٢، ٤٠٥٣).

(٤٤) ينظر: «مسند أحمد» (٥٥)، و«فضائل الصحابة» لأحمد (٥٣١)، و«صحيح البخاري» (٣٧١٢، ٤٠٣٥، ٤٢٤٠)، و«صحيح مسلم» (١٧٥٩).

(٤٥) ينظر: «فضائل الصحابة» لأحمد (٩٧١)، و«صحيح البخاري» (٣٧١٣، ٣٧٥١)، و«مسند أبي بكر الصديق» للمروزي (٢٤)، و«مجلس من أمالي أبي بكر النجَّاد» (٦).

(٤٦) ينظر: «مطالع الأنوار» (٣/ ١٨١)، و«كشف المشكل» (١/ ٣٣)، و«فتح الباري» (٧/ ٧٩)، و«دليل الفالحين» (٣/ ٢٠٢).

(٤٧) ينظر: «سير أعلام النبلاء» (١٣/ ٣٤١).

(٤٨) ينظر: «مسند أحمد» (١٩٢٦٥، ١٩٢٧٩)، و«فضائل الصحابة» لأحمد (٩٩٢)، و«صحيح مسلم» (٢٤٠٨)، و«السنة» لابن أبي عاصم (١٥٥٥)، و«السنن الكبرى» للنسائي (٨٠٩٢، ٨٤١٠)، و«شرح مشكل الآثار» (١٧٦٥)، و«الشريعة» للآجري (١٥٢٣، ١٧٠٦)، و«المعجم الكبير» للطبراني (٤٩٦٩، ٤٩٧٠).

(٤٩) ينظر: «مسند أحمد» (٦٤١، ٩٥٠، ٩٦١، ١٩٣٠٢)، و«فضائل الصحابة» لأحمد (٩٩١، ١١٦٧)، و«السنة» لابن أبي عاصم (١٣٧٢)، و«السنن الكبرى» للنسائي (٨٤١٦، ٨٤٢٤، ٨٤٣٠)، و«مسند أبي يعلى» (٥٦٧)، و«صحيح ابن حبان» (٦٩٣١)، و«المعجم الكبير» للطبراني (٤٩٨٥)، و«المستدرك» (٣/ ١٠٩)، و«الأحاديث المختارة» (٢/ ١٠٥- ١٠٦) (٤٧٩- ٤٨١).

(٥٠) ينظر: «مصنف ابن أبي شيبة» (٣٢٠٩١)، و«السنة» لابن أبي عاصم (١٣٧٣، ١٣٧٤)، و«السنن الكبرى» للنسائي (٨٤١٩)، و«المعجم الأوسط» للطبراني (٢٢٥٤)، و«حلية الأولياء» (٥/ ٢٦-٢٧)، و«تاريخ دمشق» (٤٢/ ٢٠٩)، و«الأحاديث المختارة» (٢/ ٨٧) (٤٦٤).

(٥١) ينظر: «السلسلة الصحيحة» (١٧٥٠)، و«أنيس الساري تخريج أحاديث فتح الباري» (٧/ ٥٢٦٦- ٥٣٠١).

(٥٢) ينظر: «سير أعلام النبلاء» (٨/ ٣٣٥)، و«قطوف الأزهار المتناثرة في الأخبار المتواترة» (ص١٠٠)، و«التيسير بشرح الجامع الصغير» (٢/ ٤٤٢)، و«كشف الخفاء» (٢/ ٣٢٩)، و«نظم المتناثر» (٢٣٢)، و«السلسلة الصحيحة» (١٧٥٠)، وفيها رد الألباني على مَن ضعَّفه.

(٥٣) ينظر: «فتح الباري» (٧/ ٧٤).

(٥٤) ينظر: «منهاج السنة النبوية» (٧/ ٣١٩-٣٢٠)، و«سير أعلام النبلاء» (١٧/ ١٦٩)، و«الرسالة المستطرفة» (ص١١٢)، و«تذكرة الحفاظ» للذهبي (٣/ ١٦٤)، و«البداية والنهاية» (٧/ ٦٦٦)، و«فتح الباري» (٧/ ٧٤).

(٥٥) تقدم برقم (٤).

(٥٦) ينظر: «تأويل مختلف الحديث» (ص٩٢- ٩٣)، و«الهداية إلى بلوغ النهاية» (٤/ ٢٩٨٥)، و«تفسير الماوردي» (١/ ١٦٣)، و«زاد المسير» (١/ ٩١)، و«تفسير القرطبي» (٢/ ٥١)، و«تفسير الخازن» (١/ ٦٣)، و«فتح الباري» (٧/ ٧٢).

(٥٧) من صفحة (٥٥) إلى صفحة (٦٦) من الجزء الأول من كتاب «الاحتجاج».

(٥٨) ينظر: «الغدير» للأميني (١/ ٢١٥).

(٥٩) ينظر: «مقدمة ابن خلدون» بتحقيق الشدادي (١/ ١٣) وما بعدها.

(٦٠) ينظر: «كأنك معه: صفة حجة النبي صلى الله عليه وآله وسلم كأنك معه».

(٦١) تقدم برقم (٢٩).

(٦٢) تقدم برقم (٢٨).

(٦٣) ينظر: «مسند الطيالسي» (١٤٧٠)، و«مسند أحمد» (٢٤٤٨٣، ٢٦٤١٣)، و«فضائل الصحابة» لأحمد (١٣٢٢، ١٣٤٣)، و«صحيح البخاري» (٣٦٢٣- ٣٦٢٦)، و«صحيح مسلم» (٢٤٥٠).

(٦٤) ينظر: «مسند أحمد» (١٥١١، ٢٤٣٢، ٣٠٦١)، و«فضائل الصحابة» لأحمد (٦٧، ١٣٤، ٩٨٥، ١١٦٨)، و«صحيح البخاري» (٤٦٧، ٣٦٢٨، ٣٨٠٠)، و«جامع الترمذي» (٣٧٣٢)، و«السنة» لابن أبي عاصم (٢٤٦٣)، و«السنن الكبرى» للنسائي (٤٠٤٨، ٨٣٥٥)، و«المستدرك» (٣/ ١٢٥)، و«الأحاديث المختارة» (١٣/ ٢٧- ٣٠ - ٣٢- ٣٧)، و«تاريخ دمشق» (٤٢/ ٩٩- ١٠٢)، و«الموضوعات» لابن الجوزي (١/ ٣٦٣)، و«تفسير ابن كثير» (٢/ ٣١١)، و«فتح الباري» (٧/ ١٤- ١٥)، و«نظم المتناثر» (ص١٩١- ١٩٢)، و«السلسلة الضعيفة» (٢٩٢٩، ٤٩٥٣).

وقد ضعَّف بعض العلماء ذكر استثناء «باب عليٍّ»، منهم: ابن

الجوزي، وابن كثير، وغيرهما. ولكن رجَّح الحافظ ابن حجر ذكر الخَوْخَة والباب جميعًا، وبسط ذلك في«القول المسدَّد» (ص١٦- ١٩)، و«النكت على كتاب ابن الصلاح» (١/ ٤٦٢- ٤٧٠).

(٦٥) ينظر: «صحيح البخاري» (١٩٨، ٧١٢، ٧١٣، ٦٦٤، ٦٦٥، ٦٨٧)، و«صحيح مسلم» (٤١٨).

(٦٦) ينظر: «صحيح البخاري» (٦٦٤، ٦٧٩، ٧١٣)، و«صحيح مسلم» (٤١٨).

(٦٧) ينظر: «الشريعة» للآجري (٤/ ١٧١٢، ١٧٢٣)، (٤/ ٢٣٣٧)، و«فضائل الخلفاء الراشدين» (١٨٩)، و«الأمالي» لابن بشران (٥١٢)، و«التمهيد» (٢٢/ ١٢٩)، و«تاريخ دمشق» (٤٢/ ٤٤٢)، و«تاريخ الإسلام» (٣/ ٦٤٠)، و«تاريخ الخلفاء» (ص١٣٧).

(٦٨) ينظر: «مصنف عبد الرزاق» (٩٧٥٨)، و«سيرة ابن هشام» (٢/ ٦٦٠)، و«مصنف ابن أبي شيبة» (٣٧٠٤٣)، و«مسند أحمد» (١٣٣، ٣٩١)، و«فضائل الصحابة» لأحمد (١٩٠)، و«صحيح البخاري» (٣٦٦٧- ٣٦٧٠)، و«السنن الكبرى» للنسائي (٧٠٨١)، و«تاريخ الطبري» (٣/ ٢١٨)، و«البداية والنهاية» (٨/ ٨١-٨٧).

(٦٩) ينظر: «مصنف عبد الرزاق» (٩٧٤٣)، و«سيرة ابن هشام» (١/ ٤٨٢- ٤٨٣)، و«طبقات ابن سعد» (١/ ١٩٤)، و«مسند أحمد» (٣٠٦١)، و«فضائل الصحابة» لأحمد (١١٦٨)، و«تفسير ابن أبي حاتم» (٦/ ١٧٩٩)، و«المستدرك» (٣/ ٤- ٥)، و«دلائل النبوة» للبيهقي (٢/ ٤٦٥- ٤٧٠)، و«صحيح السيرة النبوية» لإبراهيم العلي (ص١٢٠)، و«أسمى المطالب في سيرة أمير المؤمنين علي بن أبي طالب رضي الله عنه» (ص٥٢- ٥٣).

(٧٠) ينظر: «صحيح مسلم» (١٨٠٧)، و«المستدرك» (٣/ ٤٣٧)، و«سنن البيهقي» (٦/ ٥٠٤)، و«دلائل النبوة» للبيهقي (٤/ ٢١٤)، و«الدرر في اختصار المغازي والسير» لابن عبد البر (ص١٩٩)، و«تهذيب الأسماء واللغات» (١/ ٩٢)، و«شرح صحيح مسلم» للنووي (١٢/ ١٨٦)، و«سبل الهدى والرشاد» (٥/ ١٢٥)، و«صحيح السيرة النبوية» لإبراهيم العلي (ص٣٤٤-٣٤٥)، و«أسمى المطالب في سيرة أمير المؤمنين علي ابن أبي طالب رضي الله عنه» (ص١٤٠).

(٧١) تقدم برقم (٢).

(٧٢) ينظر: «فضائل الصحابة» للدارقطني (٤٠)، و«الاعتقاد» للبيهقي (ص٣٥٥)، و«الحجة في بيان المحجة» (٢/ ٣٧٧-٣٧٨)، و«تاريخ دمشق» (٢٧/ ٣٧٥).

(٧٣) ينظر: «ذكريات علي الطنطاوي» (٣/ ٣٨٦-٣٨٨).

(٧٤) ينظر: «صحيح البخاري» (١٣٩٩، ١٤٠٠، ٦٩٢٤، ٦٩٢٥)، و«صحيح مسلم» (٢٠).

(٧٥) ينظر: «الخراج» لأبي يوسف (ص٣٦- ٣٧، ٤٥- ٤٦)، و«الأموال» للقاسم بن سلَّام (١٤٧)، و«فضائل الصحابة» لأحمد (٣٧٨)، و«الأموال» لابن زنجويه (٢٢٤)، و«سنن البيهقي» (٦/ ٥١٧)، (٩/ ٢٣٣)، و«تاريخ دمشق» (٢/ ١٩٦- ١٩٧)، و«الروض الأنف» (٧/ ١٣٢).

(٧٦) ينظر: «صحيح البخاري» (١٥٦٣)، و«صحيح مسلم» (١٢٢٣)، وسيأتي أيضًا برقم (٩٩).

(٧٧) ينظر: «صحيح البخاري» (١٣٩٢، ٣٧٠٠).

(٧٨) ينظر: «طبقات ابن سعد» (٣/ ١٨٣)، و«مصنف ابن أبي شيبة» (٣٢٠٤٠، ٣٧٠٥٧)، و«مسند أحمد» (٢٥٩)، و«تاريخ المدينة» لعمر بن شبَّة (٢/ ٦٦٥- ٦٦٧)، و«تاريخ الطبري» (٣/ ٤٢٨)، و«السنة» للخلال (١/ ٢٧٦)، و«تاريخ دمشق» (٣٠/ ٤١٠)، (٤٤/ ٢٥٧)، و«أسد الغابة» (٤/ ١٥٦)، و«تاريخ الإسلام» (٣/ ١١٦)، و«تاريخ الخلفاء» (ص٦٦).

(٧٩) ينظر: «سيرة ابن هشام» (١/ ٤٤٢)، و«مسند أحمد» (١٤٤٥٧، ١٤٦٥٣)، و«أخبار مكة» للفاكهي (٤/ ٢١٥)، و«تاريخ الطبري» (٢/ ٣٦٢)، و«دلائل النبوة» للبيهقي (٢/ ٤٤٧)، و«الكامل في التاريخ» (١/ ٦٩٢)، و«البداية والنهاية» (٤/ ٤٠١).

(٨٠) ينظر: «أنساب الأشراف» (١/ ٧٠)، و«المنمق في أخبار قريش» (ص٨٦- ٨٧)، و«تاريخ الطبري» (٢/ ٢٤٩)، مع اختلاف في اسم الشاعر، ورواية الأبيات.

(٨١) ينظر: «مسند أحمد» (١٢١٨٧، ١٣٥٧٤، ١٩٥٤١)، و«صحيح البخاري» (٣٥٢٨، ٦٧٦٢)، و«صحيح مسلم» (١٠٥٩).

(٨٢) ينظر: «طبقات ابن سعد» (٣/ ٥٦٩)، (٩/ ٣٩٤)، و«تاريخ دمشق» (٢٠/ ٢٦٥)، و«أسد الغابة» (٣/ ٣٢٩)، و«تاريخ الإسلام» (٣/ ١٤٨).

(٨٣) ينظر: «سيرة ابن هشام» (١/ ١٢٩- ١٣٢)، و«المنمق في أخبار قريش» (ص١٨٩- ١٩٠)، و«أخبار مكة» للأزرقي (١/ ١١٠)، و«أخبار مكة» للفاكهي (٥/ ١٥٨).

(٨٤) ينظر: «طبقات ابن سعد» (٥/ ١٨٩)، و«سيرة ابن هشام» (٢/ ٣١٥)، و«مسند أحمد» (١٨٩١٠)، و«تفسير الطبري» (٢١/ ٢٧٢- ٢٧٣)، و«تاريخ دمشق» (٣٩/ ٧٨)، و«البداية والنهاية» (٦/ ٢١٤).

(٨٥) ينظر: «صحيح البخاري» (٢٨٣٤)، و«صحيح مسلم» (١٧٨٨)، و«تفسير الطبري» (٣/ ٦٣٦).

(٨٦) ينظر: «صحيح البخاري» (٣٦٩٨، ٤٠٦٦».

(٨٧) ينظر: «مسند أحمد» (٥١١)، «فضائل الصحابة» لأحمد (٨٢٧، ٨٤٩)، و«صحيح البخاري»- معلقًا- (٣/ ١٠٩)، (٥/ ١٣)، و«تاريخ المدينة» لعمر بن شبَّة (١/ ١٥٢)، و«جامع الترمذي» (٣٦٩٩)، و«سنن النسائي» (٦/ ٢٣٦)، و«صحيح ابن خزيمة» (٢٤٨٧، ٢٤٩١)، و«صحيح ابن حبان» (٦٩١٦، ٦٩٢٠)، و«المستدرك» (١/ ٤١٩)، و«الأحاديث المختارة» (١/ ٤٨٢- ٤٨٤) (٣٥٨- ٣٦٠).

(٨٨) ينظر: «مغازي الواقدي» (١/ ١١١- ١١٢)، و«مسند عبد ابن حميد» (١٢١١)، و«المستدرك» (٣/ ٢٢٤)، و«تاريخ دمشق» (٣٨/ ٢٦٠)، و«إمتاع الأسماع» (١٢/ ١٦١).

(٨٩) تقدم برقم (٧٤).

(٩٠) ينظر: «الأم» (٤/ ٢٢٨)، و«تاريخ المدينة» (٢/ ٥٤٧)، و«تاريخ الطبري» (٣/ ٢٤٦).

(٩١) ينظر: «تاريخ الطبري» (٤/ ٤٣٤)، و«المنتظم» (٥/ ٦٥)، و«الكامل في التاريخ» (٢/ ٥٥٦)، و«نهج البلاغة» (٧/ ٢٣)، و«أسمى المطالب في سيرة أمير المؤمنين علي بن أبي طالب رضي الله عنه» (٢٠/ ٨٥١).

(٩٢) ينظر: «خلافة أمير المؤمنين عبد الله بن الزبير رضي الله عنه» (ص٣٩).

(٩٣) ينظر: «مصنف عبد الرزاق» (٩٧١٩)، و«تفسير عبد الرزاق» (٢/ ٣٠٢)، و«سيرة ابن هشام» (٢/ ٢٤٥)، و«تفسير الطبري» (١٤/ ٤٢١)، و«المعجم الكبير» للطبراني (٢٤/ ٤٣٢) (١٠٥٩)، و«الشريعة» للآجري (١٠٣٠، ١٢٥٩)، و«المستدرك» (٣/ ٦٥، ٨١)، و«معرفة الصحابة» لأبي نعيم (٦٢)، و«دلائل النبوة» للبيهقي (٢/ ٣٦٠، ٣٦١)، و«تاريخ دمشق» (٣٠/ ٥٥)، و«البداية والنهاية» (٤/ ٢٨١)، و«مع المصطفى صلى الله عليه وسلم» (ص٤٧).

(٩٤) ينظر: «سيرة ابن هشام» (١/ ٣١٩-٣٢٠)، و«مسند أحمد» (٤٣٩)، و«المعجم الكبير» للطبراني (٢٤/ ٣٠٣) (٧٦٩)، و«المستدرك» (٣/ ٣٨٣، ٣٨٨)، و«معرفة الصحابة» لأبي نعيم (٥/ ٢٨١٣)، و«دلائل النبوة» للبيهقي (٢/ ٢٨٢)، و«تاريخ دمشق» (٤٣/ ٣٦٨)، و«أسد الغابة» (٤/ ١٢٢)، و«سير أعلام النبلاء» (١/ ٤٠٩)، و«البداية والنهاية» (٤/ ١٤٧)، و«الإصابة» (٧/ ٢٩٢).

(٩٥) ينظر: «مسند أحمد» (٦٥٣٨)، و«صحيح البخاري» (٤٤٧، ٢٨١٢)، و«صحيح مسلم» (٢٩١٦)، و«البداية والنهاية» (٤/ ٥٣٦) (١٠/ ٥٢٦).

(٩٦) ينظر: «طبقات ابن سعد» (٣/ ٢٤٠)، و«مسند الطيالسي» (٦٧٨)، و«مسند أحمد» (١٨٨٨٤)، و«صحيح ابن حبان» (٧٠٨٠)، و«المستدرك» (٣/ ٣٨٤، ٣٨٦، ٣٩٢)، و«الاستيعاب» (٣/ ١١٤٠)، و«تاريخ دمشق» (٤٣/ ٣٦٢)، و«تهذيب الكمال» (٢١/ ٢٢٦)، و«سير أعلام النبلاء» (١/ ٤٠٨).

(٩٧) ينظر: «مسند أحمد» (١١٨٣، ١٣٢٨، ١٣٦٢)، و«سنن أبي داود» (٤٣٩٩-٤٤٠٣)، و«جامع الترمذي» (١٤٢٣)، و«سنن ابن ماجه» (٢٠٤١)، و«صحيح ابن خزيمة» (١٠٠٣، ٣٠٤٨)، و«صحيح ابن حبان» (١٤٣)، و«المستدرك» (١/ ٢٥٨)، و«سنن البيهقي» (٤/ ٤٤٨)، (٨/ ٤٦٠)، و«الأحاديث المختارة» (٢/ ٢٢٨-٢٢٩) (٦٠٧، ٦٠٨).

(٩٨) ينظر: «طبقات ابن سعد» (٢/ ٢٩٣)، و«فضائل الصحابة» (١١٠٠)، و«معجم الصحابة» للبغوي (١٨١٧)، و«الاستيعاب» (٣/ ١١٠٣)، و«تاريخ دمشق» (٤٢/ ٤٠٦)، و«فتح الباري» (١٣/ ٣٤٣)، و«تاريخ الخلفاء» (ص١٣٣).

(٩٩) ينظر: «مسند الطيالسي» (٩٦)، و«مسند أحمد» (٤٠٢، ٤٣١، ١١٤٦)، و«صحيح البخاري» (١٥٦٣)، و«صحيح مسلم» (١٢٢٣)، و«سنن النسائي» (٥/ ١٤٨).

(١٠٠) ينظر: «مسند أحمد» (٣٠٩٢، ٣٧١١، ٣٧١٢، ٩٠٩٣)، و«صحيح البخاري» (٣٠٩٢، ٣٠٩٣، ٣٧١١، ٣٧١٢)، و«صحيح مسلم» (١٧٥٩).

(١٠١) ينظر: «مسند أحمد» (٤٠)، و«صحيح البخاري» (٣٥٤٢، ٣٧٥٠).

(١٠٢) ينظر: «طبقات ابن سعد» (٦/ ٤٤٢)، و«تاريخ الطبري» (٥/ ٤٦٨)، و«المعجم الكبير» للطبراني (٢٨٠٣)، و«الثقات» لابن حبان (٢/ ٣١١).

(١٠٣) ينظر: «مصنف عبد الرزاق» (٧٩٥٠)، و«الاستيعاب» (٤/ ١٧٨٤-١٧٨٥)، و«تهذيب الكمال» (٣٥/ ١٢٧)، و«البداية والنهاية» (٦/ ٤٤٤-٤٤٥).

(١٠٤) ينظر: «معرفة الصحابة» لأبي نعيم (١/ ١٦٨)، و«أسد الغابة» (٥/ ٩٧).

(١٠٥) ينظر: «سيرة ابن اسحاق» (١/ ٢٤٨)، و«طبقات ابن سعد» (١٠/ ٤٢٩)، و«الذرية الطاهرة» (ص٦١، ١١٦)، و«تاريخ دمشق» (١٩/ ٤٨٢)، و«أسد الغابة» (٧/ ٣٧٧)، و«الإصابة» (٤/ ١٢٤).

(١٠٦) ينظر: «مصنف عبد الرزاق» (١٠٣٥٤)، و«سنن سعيد ابن منصور» (٥٢٠)، و«فضائل الصحابة» لأحمد (١٠٦٩، ١٠٧٠)، و«الذرية الطاهرة» (ص٢١٨، ٢١٩)، و«الشريعة» للآجري (١٧١٤، ١٨٢٠)، و«المستدرك» (٣/ ١٤٢)، و«الأحاديث المختارة» (١/ ١٩٧- ١٩٨) (١٠١- ١٠٢)، و«مسند الفاروق» (١/ ٣٨٩- ٣٩٢)، و«السلسلة الصحيحة» (٢٠٣٦).

(١٠٧) ينظر: «طبقات ابن سعد» (١٠/ ٤٢٩)، و«التاريخ الأوسط» للبخاري (١/ ١٠٢)، و«سنن البيهقي» (٧/ ١١١- ١١٢)، و«دلائل النبوة» للبيهقي (٧/ ٢٨٣)، و«تاريخ دمشق» (١٩/ ٤٨٣)، و«سير أعلام النبلاء» (٣/ ٥٠٢)، و«الوافي بالوفيات» (١٥/ ٢٤، ٢٧٢).

(١٠٨) ينظر: «مقتل علي» لابن أبي الدنيا (١٢٧)، و«تاريخ دمشق» (٤٥/ ٣٠٤)، و«سير أعلام النبلاء» (٤/ ١٣٤).

(١٠٩) ينظر: «صحيح البخاري» (٣٦٨٥)، و«صحيح مسلم» (٢٣٨٩).

(١١٠) ينظر: «صحيح البخاري» (٣١٤٠، ٣٥٠٢، ٤٢٢٩).

(١١١) ينظر: «تفسير المنار» (٦/ ٣٨٤- ٣٨٧).

❍ ❍ ❍